

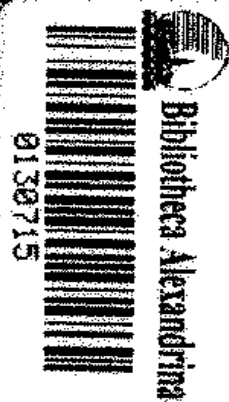
منشورات
مصر
الفرعونية

النيل

في عيد
الضراعة
والقرب



تمثال للنيل على شكل انسان



الناشر
مكتبة مديبول
القاهرة

السبل

في عهد الفرعنة والعرب

لواضعه

انطون زكريا

أمين دار كتب المتحف المصري



جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م



مطبعة المعارف بمصر

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

أول ملك جلس على عرش مصر بعد ذوق القراعنة المرسومة صور عظمتهم حول رسمه الكريم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

على غير ما اعتاده بعض الكتاب من اتخاذهم عادة في ما يؤلفون ويكتبون وضع مقدمات كبيان للفن الذي يشتغلون به ، أو المواضع التي يوقعون للإجادة في مباحثها تشويقاً للقراء ، وتذبيهاً عن أهمية ما يتصدرون للاطّاب فيه ، بما أوتوا من براعة واقتدار حتى يكون المطلع على اشتياق لما تزفه الأقلام للأفهام

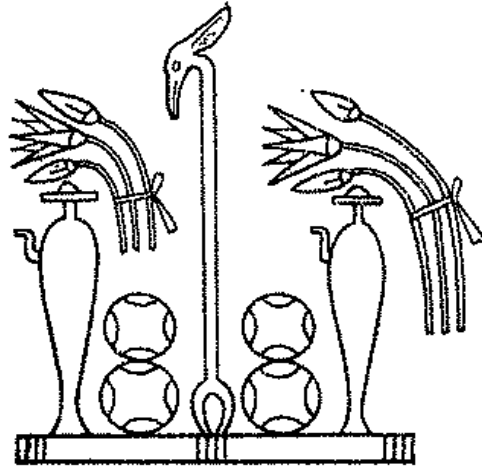
قد رأيت في هذا المؤلف اجتناب الإطالة في التمهيدات والمقدمات ، اكتفاء بأن الموضوع المقصود بالبحث والبيان هو النيل ، والنيل ذو أهمية بذاته لا تحتاج معالجة لأثارة الأشواق واستفزاز الفطن ، لأن النيل ومزاياه وتوقف حياة البلاد عليه تكاد أن تكون في حكم المعلومات الفطرية ، التي تنبعث الأذهان بطبيعتها إلى حب الإطلاع على كل ما يتعلق به من المباحث التاريخية والمعلومات الفنية التي جادت بها القرائح في قرون ماضية ، لازلنا نقتني آثارها في الارتشاف من مناهلها والحرص على الاستفادة من كل جديد مفيد

النيل في عصر الفراعنة وفي عصور الفتوحات الاستعمارية إلى عصر الفتح الاسلامي وما يليه ، أخذ عناية دائمة بالمحافظة على فوائده من كل دولة كان لها حق السيطرة على هذه البلاد

لهذا تحتم عندى التلخيص بأقصى مستطاع لكل المعلومات الزمنية للنيل وتطوراته
في كل هذه العصور، اعترافاً للرجال المصلحين في كل أمة بالفضل الذي بذلوه
لفائدة العمران في المحافظة على مياهه وانتفاع بلاده ببركاته فيضه

فلنا العذرة إذا قصرنا بحثنا على أدق ما يهم الإطلاع عليه، خصوصاً فيما يتعاق
بالمناطق الشهيرة التي نرى في الالماع إليها أتم كفاية لمن يهمه أمثال مباحثها
العمرائة والتاريخية

فلهذه الأسباب يكون اقتناء كتابي هذا، والتكرم بالإطلاع عليه كتشجيع أدبي
لكل قارى، فيه حظ الارتياح وامتنان الشاء، لأن كل فرد من سائر الطبقات
المصرية يشاق لتبادل وتعميم هذه المباحث العمومية بقدر الارتباط العام لكل فرد
من أقالته أرض مصر ببركات النيل وفيوضاته



منابع النيل

« حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم »

قليل من المصريين من يشاهد عليه الاعتناء بالنيل ومعرفة تطوراته ،
بحسب المنظمات الحكومية التي طرأت عليه لمناسبات تحسين الري وحسن
التصريف في كميات الفيضان ، وقل أن تجد حتى عند ذوى الاطلاع معلومات
تدل على اهتمام القوم بهذا النهر الذى هو مصدر الثروة وينبوع الحياة ، بل إن
أغلب الأمة المصرية لا تذكر شيئاً عن النيل إلا في أوان التجاريق بمناسبة
التشديدات التي تتخذها مصلحة الري في وضع المناوبات واحتياجهم إلى تاقى
الأخبار المنبئة عن بدء الفيضان ، وهذا هو منتهى اهتمام الزراع وأرباب
الأطيان الواسعة . وأما أغلبية الطبقات من الأمة حتى المشتغلين بالعلوم العامة
في المدارس بأنواعها وطبقات الصناع والتجار ، فلا يحسبون للنيل حساباً ولا
يعتنون بشيء من أخباره إلا في مقتضيات محدودة من الزمن ، مثل حفلة وفاء
النيل وبقى الاعياد المتداخلة في أشهر الفيضان عند بعض الطوائف ، فإذا انقضت
هذه المدة أغفلوا ذكر النيل جانباً ، كأنهم ليسوا من سكان واديه أو من القاطنين
في أراضيه التي كرمها الله بالخصب والرغد وجعلها لها مصدر السعادة ومهاد الثروة
أفرد كثير من المؤرخين النيل بمباحث مطوّلة عن البعثات التي كلفت
باكتشاف ينابيعه وطرق سريانه في الأودية ، ووسائل الانتفاع به وما تحويه
مسالكه من المعادن والأتربة ذات الخواص وهذا المبحث مفيد من الوجهة
العلمية التي تقبل المزيد من الوضوح ، كلما تقدم العقل العرفاني في ارتقائه
ووصوله الى حقائق لم تكن معلومة من ذى قبل . وغرضنا في هذا الكتاب

البحث الآن عما كان للنيل من المزايا الخاصة المترتبة على عقائد وتقاليدها
قدماء المصريين حسب اعتقادهم. فمن ذلك ما قاله هيردوت «إنما مصر هدية من
هدايا النيل» وكلمته هذه الصغيرة تشمل وادي النيل بأسره لأن النيل كشریان
الحياة بفيضاناته الدورية التي يعبر عنها في أقاليم الصعيد بلفظة «دميرة»
والبداهة ترشدنا الى أن مجرى النيل وما يحيط بشواطئه كما جزء
اغتصبته سطوة النيل من مجموعة الاقاليم، واختص هذا الجزء المغتصب
بالمقتضيات الطبيعية من الخصوبة، فجاد بحسن الانبات وامتاز بالموقع الثمين
وأحسن المجهودات الانسانية التي ابتدع الأهالي طرائقها ووسائلها في تقسيم
المناطق الى بلدان وحيضان وحدائق، واتخذوا لكل موقع ما يناسبه من
الاحتياطات الزراعية، ولم يشيدوا المباني في البلاد إلا بأماكن محدودة من
أطرافها، لتكون مناطق المزارع خالية من عوائق التقسيم والترتيب وحرية
الانتفاع، وليكون أهل كل قرية عوناً لبعضهم في حقوق الجوار والارتفاق
وصد الطوارئ جرياً على عادة المهاجرات التي كانت راسخة في أخلاق
المصريين قبل أن يتغلب عليها التقليد الأجنبي الحاضر الذي أفقد النعموس
كثيراً من مزايا التعاون والمحبة والاخلاص

وكان قدماء المصريين يعملون للنيل احتراماً اعتقادياً، لكونه السبب
الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجذب، وانتشار الفاقة واستحكام
الضيق، إذ كان عوام الناس وخاصتهم مقبلين على الزراعة والاعتناء بها أكثر
من كل شيء. ولم يكن الاعتناء بالصناعات والأحوال الأخرى الأدبية إلا
في بعض المدائن التي كانت تقوم بالحاجة الكافية لمجموع الأهالي، وبهذا كانت
التحارات على جانب من الرواج وأولوا البراعة في العلوم كانوا على منتهى درجات
الاحترام والتوقير، اعترافاً بفضلهم وتشجيعاً لدوى الاستطاعة على أن يحذو

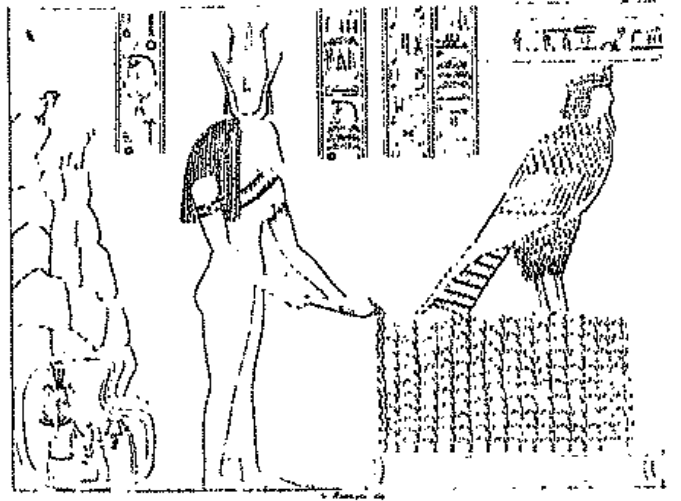
التجباء حذوهم في فضلهم ومعارفهم . وكانوا يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه (جمبي) أى الآله المقدس

وعدم الإمام المصريين القدماء بمعلومات عن منابع النيل كان شأنًا عامًا، ولا يمدونه تقصيراً في الوجهة العلمية . وقد لاحظ ذلك المؤرخ الشهير هيردوت الذى قدم لمصر قاصداً البحث ، وجمع الاستدلالات في هذا الشأن حتى قال لم يعرفنى أحد شيئاً من منابع النيل ، وأيدت رأيه أنشودة النيل القديمة التى كانوا يترنمون بها في المواسم والأعياد ويعترفون فيها « بأن النيل آت من الظلمات »

وذكر في كتاب الموقى « ان النيل مولود من رع » أى الشمس التى هى أكبر الآلهة عند المصريين القدماء . ويقرب من هذا المعنى أنه وجد مكتوباً في ورقة بردية (من ضمن أوراق كتب التحنيط) نص بالمعنى الآتى (فى بطاقة عند مقبرة أحد الموقى) : « انك أيها الراحل فى لحد الخلود ، سيفيض عليك النيل فى مضجعتك الأخير أثراً من بركاته ، لأن ماءه آت من مدينة أبو (أى جزيرة أسوان) ، وهذا النيل ينفجر من هُوتِه ، هذا (نو) الخارج من ينبوع صخرى كأن الفيضان يفور من خزائنه والمياه تتدفق من ينبوعها » وقد قال المؤرخ هيردوت ان أمين معبد الآلهة (نيت) بمدينة سايس أخبره بأن بين مدينة (سبين) بطيبة ومدينة جزيرة أسوان جبلين أولهما يدعى باللغة المصرية القديمة (كروفى) أى هوتِه والثانى (موفى) أى مياهه . وبين هذين الجبلين تنفجر منابع النيل من هوة عظيمة وينصب الماء منها طبقاً لطبيعة الحواجز الصخرية هناك الى شطرين أحدهما الى مصر فى الشمال والآخر الى أثيوبيا فى الجنوب

وقد اجتهد هيردوت لما أتى مصر بمباحثه العلمية من الوجهة الجغرافية

وعالج كثيراً من طبقات الكهنة ، فلم يبوحوا له بشيء من معلوماتهم إلا فيما يتعلق بمظمتهم المشهورة ومكائنته الراسخة في النفوس كعبود يؤدون له فرائض العبادة والاجلال ما استطاعوا ، وخصوصاً في الأوقات التي حددها لذلك عند بدئه في الزيادة وبلوغه منتهى الفيضان ومبادئ تصريفه في الأقاليم ، ورتبوا على ذلك الأعياد والمواسم الشهيرة التي لازالت تراعى في الاحتفالات والمظاهر السنوية ترحيباً بوفائه ، وشكراً لما يقدقه على الأرض من نعيم الخصوبة والرغد



وقد اكتشفوا في معبد بيباق الذي شيده الامبراطور (تراجان) ، واحتفظ عليه خلفاؤه من بعده رسماً يمثل لنا الإله حمبي (النيل) في مخبئه ، وتفسير هذا الرمز انه يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رسما الصقر والباشق ، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل إلهي لإله راعع ، حاملاً في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المباركة . ويجد الرائي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها ، وبين رأسها وذنبها منقذ ضيق لمرور النيل . وهذا الرسم فسره كاهن مدينة سايس للمؤرخ هيردوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل ، فهو فيض من عند الله لم تصل استطاعة أمثالهم لاكتشاف أوائله غير ما هو مشاهد

للزائرين في أطراف وادى النيل . ويقصد الكهنة بذلك وقوف الأمة عند هذه النقطة وعدم التطلع الى مباحث أخرى

وكان علماء المصريين مع كثرة الرموز العامية وسعة المعلومات المحفوظة في الصدور ، والمرموز اليها في بعض الخلدات الأثرية لا يسمحون لمعاصريهم ولا لزائريهم من فجاج الممالك بالتوسع في مباحث عن ينايع النيل وأوائل مصدر فيضه ، لأنهم يعتقدون سعة البحث في ذلك ممنوعة دينياً ، وتعرض المشتغلين بها لحلول النقمات التي تنذر بها الكتب المقدسة ، كل من يسمى الى عمل يؤدي إلى كفر أو ضلال . وكانوا يعتقدون أن النيل فيض من البركات الإلهية ينزل من السموات العلا الى عالم الأرض فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحية الأرض لكل نبات يحتاجه الانسان في أدواره المعاشية . ولهذا كانوا يسمونه أب الآلهة (أتيف نثرو) . ولم يلتفت قدماء الباحثين من المصريين الى أسباب الزيادة في النيل في أزمنة الفيضان ، لاعتقادهم انه قدسى في تكوينه وفي تأثيره وفيما تبصر الخلائق عنه ، لأنه سر من فيض البركات الإلهية ، اختص الله بها هذا الوادى السعيد ، وجعله الى الأبد مصدر الرفاهية والسعة والإغداق بأنواع الأرزاق التي تنى باحتياجات قاطنيه ، وبسد العوز لكل الطبقات التي تأوى اليه ويجدون فيه ومن سجايا أهله حرماً آمناً .

وقد اجتهد علماء المباحث المصرية عن النيل وينايعه ومصادره العليا ، مثل هيردوت وسترابون وديودور الصقلي ، وعلماء الرومان كماؤرخ بلين وسنيك وغيرهم من الفلاسفة ، فلم يستطيعوا سوى الوقوف عند ما ألقاه اليهم الكهنة عن عظمة النيل ، وان عجائبه ترجع الى قدسية مصدره الالهي ، فاضطروا للإذعان خاضعين لعقائد وتقاليد قدماء المصريين في شأنه ، ولم يتجاوزوا في مباحثه الى ما وراء الشلالات . والى ذلك أشار هيردوت بقوله أن النيل

يعرف مبدؤه بعد سفر أربعة أشهر سواء كان براً أو بحراً، وهى المدة التى كان يستغرقها المسافر فى وصوله الى جزيرة اسوان .

واستمر الناس على الاعتقاد بان ينابيع النيل مما يسرع على الباحثين حل غوامضه الى عصر الرومان، فأرسل نيرون بعثة رسمية لاكتشاف هذه المنابع، فوصلت بعد مستنقعات واسعة الى صخرين تجرى فيهما المياه فظنوهما المنابع الأولى للنيل وعادوا يتوهمون لا أنفسهم الظفر بما لم يستطيع غيرهم الوصول اليه.

وقال بلين أن منبع النيل آت من موريتانى (Mauritanie) الواقعة شمال افريقية، وقال سنيك أن منبعه يبتدىء فى ضواحي مدينة ييلاق، وقال المؤرخ لوكين أن منبع النيل الحقيقى لم يعرفه أحد فى العالم، وواقفه على ذلك المؤرخ اميان مرسلان أحد علماء القرن السابع للمسيح . وان منتهى ما وصلت اليه الاجتهادات وتجوال البعثات فى رحلاتها أن منابعه آتية من بحيرات افريقيا الوسطى . وكان قدماء الباحثين يضربون الأمثال بمعرفة منابع النيل فى استحالة الوصول الى غرض يرضى ويقنع الباحثين

وقال المقريزى فى وصف مصر أن النيل يظهر على الأرض بقرب وادى القمر الواقع بقرب الاستواء . وقال جرانفيل أن النيل فردوس أرضى . ولا تزال هذه العقيدة عند قدماء النوبين رغماً عن توالى السنين وظهور الاكتشافات العلمية التى تحتم بمقتضاها أن يتحول الناس عن عقائدهم الأولى التى توارثوها فى أجيال ماضية

خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء المصريين

الى بولبوس قيصر الرومانى

بشأن منابع النيل

من المعلوم أن حقوق الاستعمار تحتم على القاعين به البحث فى الأقاليم التى يحتلونها عن منابع ثروتها ومصادر رغدها وأساليب مجدها، ليتخذوا لهم فى هذه المصادر سطوة فعالة، لتخضع النفوس الى إرادتهم بدون أن يتجشموا فى هذا الاخضاع معاناة شاقة، لأن الاستماعة بما يعد من ضروريات الطبيعة فى ترويح الاستعمار من ضروب السياسة التى يتفنن فيها مهترتهم لاجتذاب الشعوب وتسخيرهم. وعلى هذا المبدأ افكر الرومان أن يتخذوا أساليب الاستعمار المعتادة مع الكهنة البارعين فى عصر قدماء المصريين، وابتدأوا يخابرونهم عن مصادر النيل ويناييمه ليستدرجهم بعد ذلك الى صيرورتهم فى قبضتهم، وليبوحوا لهم بطرق الدهاء وأساليب السياسة عما استأثروا به علماً حتى يتوصلوا بذلك الى السلطة الفعلية فى هيمنة الأعمال وتسخير الظروف الى ما يشاؤون.

وقد جاء فى أنشودة النيل ما يشير الى أنه بطبيعته فيض سماوى، يحيى به الله الأرض بعد موتها، وان ارتسام هذا المعنى فى خيالات الكهنة مكنهم من اختراع الروايات والأقاصيص ليحفظوا لأنفسهم مركز الاختصاص بالمعلومات الدقيقة، وليخلدوا لهيمنتهم على الشعب صفة أدبية أبدية

وقد روى الكهنة للمؤرخ اليونانى هيردوت فى القرن الخامس ق. م وليوليوس قيصر الرومانى فى القرن الأول ق. م أقاصيص نظمها الشاعر الرومانى ليكين (Lucain) باللاتينية، وسردها بأسلوب خطاب بمثه رئيس

كهنة قدماء المصريين الى يوليوس قيصر الرومانى بشأن هذه الينايع ويحق لى التنويه بأنى أول من وفق إلى ترجمته الى اللغة العربية وإليك لغواه بالاختصار .
« أخطأ الأقدمون فى تعبيرهم بأن النيل يزداد فيضانه عقب ذوبان الثلوج فى جبال ائيو بيا ، لأن سكان تلك الجهة من حرارة الشمس تبدو جلودهم سمراء ، كما أخطأ الزاعمون بأن منابع الأنهار المتكوثة من ثلوج يذيبها الحر وتزداد فى أوائل فصل الخريف ، لأن النيل لا تبتدى زيادته قبل أن ترسل نجمة الشعرى اليمانية أشعتها إلى الأفق ، وقبل أن يتساوى فى ميزان الأفلاك زمن الليل والنهار »

« فنواميس النيل ليست كنواميس بقية الأنهر ، ولم يزد فيضانه فى الشتاء . فبعد ابتعاد الشمس عن درجات المقارنة الأفقية لها فى فصل الصيف تتدفق المياه بنسبة تعويضه عن ذلك . وقد اختص النيل بلطافة حالة الجو ، فهو يفيض فى منتصف الصيف حينما تكون منطقة الأرض الحارة مانعة عن الحيولة بتأثير القيط ، فيأتى النيل مساعداً للعالم فى ارجاء واديه ، وقد يتجه أمام وجه برج الأسد المتأجج بالحرارة ، ويبادر بلدة سفين (Syène) المحترقة بروج السرطان فلا ترتفع مياهه قبل نزول الشمس فى الخريف ، ويتسع الظل فى بلدة مروى (Méréé) (وهى بقرب شندى عاصمة المملكة المصرية بالسودان) فلن يستطاع بيان السبب لسعة وادوار فيضك أيها النيل لأن القدرة الإلهية هى التى نظمته بقدر حاجة العالم اليك »

« وأخطأ القدماء أيضاً فى نسبتهم زيادة الفيضان إلى هبوب الرياح فى وقت طويل ، تكون الأمطار فيه مجبورة على أن تجود بقطراتها على هذا النهر وتدفعه بلا انقطاع الى المنافذ الكبيرة التى تسيل على شواطئ البحر الأحمر ، ولوجود حواجز أمامه تموق سرعة انحداره ، ويتدفق فى الجداول والجهات

التي تستفيد مزارعها وحقولها لوصول فيوضاته اليها»
«ومن الخطأ أيضاً التصديق بأقوال من زعموا أن فيض النيل ناتج عن
قنوات مارة تحت الأرض، أو ثقوب مفتحة الأفواه في حفر واسعة تنحدر
اليها المياه في مسافات عميقة آتية من الجهات الباردة في الدب الأكبر وسط
قطب الدنيا، وإن حرارة الشمس لما تضعف عند بلدة مروى تجلب مياهها
وتجذب النهرين الكانج والألب بمسالك خفية يقذف عندها النيل تدفقاته
إلى هذه الأنهار في منبع واحد، ولكنها لا تستطيع السريان في هوته فيدمج
الأرض حين يغمرها، وينتزع من بعض طبقاتها الأملاح الكامنة في
طول مجراه»

«وظن البعض أن الشمس والهواء يجتذبان الماء من المحيط، ولما تصل
الشمس الى المنطقة الحارة أمام برج السرطان ينشق المحيط، ويأخذ مياهها
أكثر من الجو، وهذه الزيادة تنقلها الأعاصير إلى النيل»
«وأرجوك أيها القيصر أن تسمح لي بأن أشرح لك تحليلات هذه المسألة
المؤيصة فأقول :

« أن مياه النيل منذ بدء الخليقة تتسرب من عروق في الارض، أوجدها
الله لتكون مجراه الطبيعي، تسيره القدرة الالهية بأنظمة وقوانين فوق مقدورات
أمثالنا وأمثالكم. أتريد ياروماني معرفة منابع النيل، وقد اهتم قبلك بالبحث
في موضوعها الملوك المصريون الجبابرة والمعجم والمقدونيون منذ أجيال، ولم
يتغلبوا على قوة الطبيعة في شيء وأراد اسكندر ذو القرنين أكبر ملوك الأرض
في عهده والمعبود الأعلى في مدينة ممفيس معرفة منابع النيل، فأرسل بعثة في
أواخر إثيوبيا، وهناك عاقها حرارة الجو المتهب. وذهب سينوستريس الى
الغرب والى أقاصى الدنيا تجرُّ الملوك عربته وكان في استطاعته أن يشرب من

منابع أنهاركم (كالرون والبو) فإن ذلك أسهل عليه من أن يشرب من منابع النيل. ووصل كميز الأحمق الى الشرق بين الذين يعمرؤن طويلا ، ولما غابت عنه المؤونة ذبح رجاله والتهمهم بدون أن يعرف منابع النيل ، ولم يستطع أحد في القصص والروايات الوصول الى مقر منبعه ، ولم تدخر الأمم وسعاً في السعي الى اكتشاف منابع النيل . واني أدرك حكمة الآلهة الذين أرادوا صيانة مجراك أيها النيل ، من أن يستطيع أحد الوصول الى منتهاك البعيد المدى ، فانك تقوم وسط قطب العلم ناصباً شواطئك أمام برج السرطان المضطرب ، فتسرى الى الجهات ، وتراك فيها الشعوب القاصية والدانية ، وتبحث القاصية عن منبعك ثم تعود مقهورة الى حقول ايبوبيا المرتوية من مياهاك الغربية ويجهل العالم منبعك « وقد أعطيت وحدك أيها النيل حق الامتياز لتسير من قطب لآخر . يبحث الناس في بداية مجراك ونهايتك ، تتسع مياهاك ثم تضيق لتحيط مروى ، وسكانها قوم سود الوجوه يفتخرون بناباتهم المملوءة بخشب الأبنوس الكثيرة الأوراق ، ولا يوجد هناك ظل يخفف حدة الحرّ ما دام برج الأسد يرسل حرارته على خط مستو على وجه الأرض ، فتمر في منطقة الشمس بدون أن تضيق شيئاً من مائك . تدعو قريباً تحت طبقتك مياهاك المقسمة الى حدود قبائل العرب وأراضى ييلاق (فيلا) التي هي منتهى حدود مملكته المصرية . وعند ميلك تخطط الصحراء بمر التجارة بين البحر الأحمر وجبال ليبيا «
«أرتنا لجح النيل عند ما تحتد ، فيلاقى مجراها في مسيره عراقيل وشلالات سريعة تعترضها بمض الصخور في الصحراء ، ولكن لم يوقف مياهاك شيء حينئذ تلقى الزبد حتى الكواكب ، وكل شيء يخشى اضطراب أمواجك ويتذر الجبل تحت بياضها احتراماً لأنك النهر الذي لا يقهر ، وبعد ذلك تظهر الأرض المقدسة والصحراء المعروفة بشرايين النيل لأنها تبشر بالفيضان في

أوائله عقب أن أغلقت الطبيعة أبواب المجارى بمياهك المتشردة عن دخول بلاد ليبيا بحاجر الجبال في هذا الوادى العميق الذى فيه يجد مجراك نظامه المألوف ويتقدم بهدوءٍ وسكينة، ويبتدىء من مدينة ممفيس التى تسلم اليك حقولها وتفتح أبواب السهول والوديان، ولا يوجد على شواطئك حواجز تعتبر حداً لفيضانك»

« بحث العالم القديم والحديث فى منابع النيل »

فوق المزايا العامية والصناعية التى امتازت بها مصر فى قرونها الأولى قرون العظمة والاسعاد، والتفوق الباهر على سائر الأمم، خصَّ الله هذا الاقليم بالنيل المبارك، وهو أكبر المنن الالهية التى جعلت كافة مواهب البشر أمامها لا تكاد أن تكون شيئاً مذكوراً. فالنيل هو ينبوع الحياة ومهدُّ الارتقاء ووسيلة الحياة الخالدة ورغد العيش المزيد. فكما آمن الباحثون فكرتهم فيما تقله أرض مصر من العجائب الصناعية والهيكل والآثار والمباني التى قاومت المصور ظاهرة فوق بعض المواطنين وتحت بطون الأرض فى غيرها، يرتدُّ اليهم طرف مجهوداتهم الفكرية حائرًا ذاهلاً، كما رأى النيل يتماوج باعاجيب المناظر ويتدفق فى مجاريه بأوفر الخيرات على بلاد أسعدتها الطبيعة بأن يفيض عليها من كنوزه وخيراته ما جعلها تمتاز بسعة الخصب وقوة النماء. وان أهاليها كلما جدوا فى الأعمال الزراعية، جادت عليهم بأضعاف ما كانوا يتمتعون فى مبادئ أعمالهم، فينشطون على الدوام الى التوسع فى استخدامها بقدر ما تشجعهم عليه سعة الآمال، فلا ترضى الأرض بما استودعت من المزايا ولا تكفى السواعد ولا الهمم عن اجتناء أطيب الثمرات واحراز الأرباح الوافرة. وهكذا كان المصرى وبلاده فى دور نشأته الأولى وسعادتها الماخية كل على

صاحبه يجمود بأقصى المنح ، فتجدد للأراضى زيناتها النباتية وتتنوع لأقوام
الشعب موارد ثروتهم المالية

كانت مصر بهذا الاعتبار مصدراً للمعجزات العقلية ، لأن خصائصها
الشهيرة ومميزاتها المدهشة لم تجتمع في غيرها من الأقاليم ، وكفى أن منابع النيل
وأدوار فيضه وتطورات انتقاصه واستمرار مجاريه على حالة لا تعوقها الرواسب
ولا كميات الرمال التي تذررها الرياح في المناطق قد جعلت ألباب الباحثين
حيارى . وطالما عاق الأقدمين الوصول الى حل مسائله العويصة ، ولكنهم
وقفوا أمام أقاويل وآراء كل فريق يدلى فيها بحجته التي يؤيد بها رأيه على
رأى مناظريه وامتدت بالقوم العصور الغابرة بدون أن يصلوا في هذه النقط
الى تمحيص نهائى يرفع النقاب ويزيل الشكوك

وروى في عصر فايتون الخرافى رواية أشبه الى الخيال منها الى الحقيقة ،
إذ قيل فيها أن النيل كأنه لما رأى قرب الشمس من الأرض خشى من احتراقه
بلمبيها فأخنى رأسه فى آخر الكرة الأرضية . والى القرن السابع عشر ق . م
لم تصل مباحث المؤرخين الى رأى سديد فى حقيقة ومبادئه منابعه

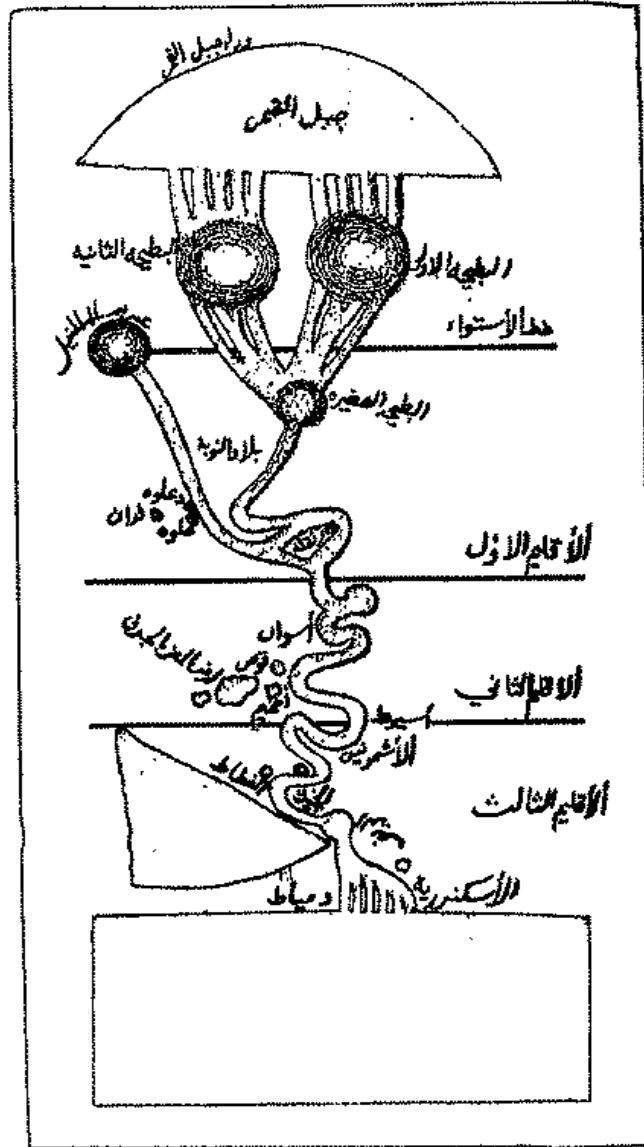
وقد أفرغ الفراعنة مثل سيزوستريس (رعمسيس الثانى) وغيرهم جهداً
كبيراً من عنايتهم للوقوف على حقيقة الينابيع فما استطاعوا . ولما قدم الى
مصر هيردوت وابتدأ مباحثه عن الينابيع لم يرشده أحد ، وذكر أن بسامتيك
أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ألف بعثة مكونة من ٢٤٠٠٠٠ رجل ،
وأمدّها بكل ما تحتاجه لتسهيل العقبات فى مسيرها والوسائل الصناعية
الأخرى فى ثقل الأحمال والمؤن والوسائل الدفاعية اذا صادفها شىء من ذلك ،
وترتيب وصول المعلومات منها اليه عن الأقاليم التي تجتازها ، والمناظر التي
اهتدت اليها ومعجائب الأودية والقبائل ، وأمدّها بسعة الاغداق والمعونات

الكبرى لتغلب بالبذخ والسخاء والمعدات الكثيرة على أنجاح مأموريتها، فقضت فيها بعض السنين وعادت من حيث أتت ولم تدوّن غير اكتشافات جغرافية عن بعض المواقع في تلك المجهل . ثم استحكمت هذه الفكرة لدى اسكندر المقدوني وكبيره، ورتب كل منهم في عهده رحلة خاصة وأمدّها بأساليب أقرب في الوصول الى الغاية المطلوبة وأسهل منالاً في الاستكشافات والتوسع في المعلومات ، فعادت كباقي البعثات الماضية راضية من الغنيمة بالإياب وفي القرن الثالث ق . م . في عهد بطليموس افرجت (Évergète) تكلم المؤرخون عن منابع النيل ، فكانت آراؤهم متطابقة مع المعنى الذي أورده الشاعر الروماني في كتابه المعروف بالفرساي (Versailles) على لسان يوليوس قيصر أن النيل يخفى رأسه عن الانظار كسقاء لا تبرح عن دلالها مهما أطال اليها المشوق الضراعة والاستعطاف . فالنيل يستعزّ في مجاريه فياضاً متدفقاً بينما أفكار الباحثين تكدّ وتجهد وتعود بالملل والضعف

وفي القرن الأول ق . ب . أبدى « جوبا » ملك « موريتانيا » رأيه عن منابع النيل وتبعه فيه بلين وميلا والمؤرخ ديون كاسيئس وهو أن منابع النيل القاصية لتعمقها تحت الصخور والتجاويف العميقة بتلك الأودية والوهاد ، لا يستطيع أفراد البعثات التي تنتدب من أجله خوض غمار تلك المياه ، وفي هذه المنابع الفجوات التي تتفاوت بين الضيق والسعة والمنعطفات الطويلة إلا اذا تطوعت بحياتها للخطر الذي لا يحتمل معه عود بعض أفرادها لينجيء الباقين عما رأت عيناه ووعته ذاكرته من هذه المناظر وعجائب تكوينها

وقال بطليموس الجغرافي المولود في القرن الثاني ق . م . إن منابع النيل تلتقي في بحيرتين كبيرتين بأحساء خط الاستواء ، ولا يستطيع الغرباء التجول الى ما وراءها ، لأن الأذهان ممتلئة بالروايات المنفرة عن وجود الوحوش

والحيوانات الضارية التي تفتك بكل من أراد المسير في غاباتها أو مغاورها
جاء العرب بعد اليونان خلفاء لهم في الاستعمار، وحكموا مصر واستولوا
على بلاد النوبة وغيرها من البلاد المجاورة لمنابع النيل، وأحكموا صلاتهم
التجارية والسياسية مع السودان وشعوب افريقيا الجنوبية، واتخذوا هذه
التمهيدات وسيلة لوصولهم إلى ما عجز عنه أسلافهم في تلك الأقاليم المجهولة
ومن مشاهير العرب الأجلاء الذين صرفوا وقتاً مديداً وعزماً صادقا في
الوقوف على معلومات صحيحة بشأن منابع النيل الإمام الشهير احمد بن محمد
ابن عبدالسلام المنوفي نسبة إلى منوف في نهاية القرن التاسع الهجري، وكان
إماماً في العلوم الإسلامية وتواريخ الأمم، احترمه كثير من العلماء وأئمة البحث
وعظماء الشعوب، ونقلوا عنه في مؤلفاتهم. وكان يثبت لتلامذته ان العلم
الصحيح والتقوى توأمان، فمن لم يزد عقله بقوة الايمان الذي هو فوق نواميس
الطبيعة يكون دائماً في تردد الحيرة والضلال. دون هذا المؤلف الشهير كتاباً
عنوانه « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد ». وتوجد منه الآن نسختان
خطيتان احدهما في دار كتب مرسيلا، والثانية في دار الكتب المصرية
بالقاهرة، تكلم فيه عن منابع النيل وأصله واستمداده وطوله وعرضه، وتضمن
ابحاثاً وافية فلخص منها ما أورده من الفوائد في الباب الأول (في الفصل الآتي)
ثم جاء نابليون مصر مع بعثة علمية بحثت في أحوال البلاد وأمورها
ودونت عنها مؤلفات كثيرة ولكنها لم توفق للبحث عن منابع النيل
وفي سنة ١٨١٩ أرسل محمد علي باشا بعثته العلمية الشهيرة يرأسها
جالياردو المهندس الفرنسي، فسافر الى الخرطوم وقال في مذكرته أن منابع
النيل تبثدىء من جبال القمر
وفي سنة ١٨٥٦ توسع في الاستكشاف كل من الباحث برتون ويك



خريطة وادي النيل لبطليموس نقلا عن الخوارزمي

ويكر الى ماخلف بحيرتى (فكتوريا والبيرنيا نزا)، وتحقق أخيراً انهما أهم المنابع التى يتكون منها النيل . وقد ساعدت الاكتشافات الأخيرة رجال أوربا على التجول فى أواسط أفريقيا، واستطاعوا الوصول الى قول عززوه براهين الاكتشافات والرحلات المتوالية فى هذه الأقطار، وكلل النجاح سعيهم وكانوا مصداقاً للمثل القائل بأن من لازم السير فى الدرب وصل الى مرحلة النجاح . (كما سيأتى بيانه تفصيلاً)

« رأى العرب فى منابع النيل »

وفاء بما أجملناه فى هذا البحث ثبت هنا ما جاء فى كتاب « الفيض الجديد فى أخبار النيل السعيد » تأليف الشيخ العالم احمد بن محمد بن عبد السلام المنوفى فى ذكر منابع النيل الذى هو من اكبر الثقاة فى المباحث العلمية ذكر المؤرخون فى أصل منبعه من مبتداه الى منتهاه أقوالاً فقال أكثرهم ومنهم الحافظ بن كثير فى تاريخه الكبير إن مبتداه من الجبل القمّر (بضم القاف وسكون الميم) أى البيض، ومنهم من يقول « جبال القمّر » (أى بفتح القاف) بالاضافة الى الكوكب وهى غربى الأرض وراء خط الاستواء فى الجانب الجنوبى . ويقال انها صخور تنبع من بينها عيون ثم تجتمع من عشرة مسيلات متباعدة، ثم تجتمع كل خمسة منها فى بحيرة، ثم يخرج منها أنهار ستة ثم تجتمع كلها فى بحيرة أخرى ثم يخرج منها نهر واحد وهو النيل فيمر على بلاد السودان بالحبشة^(١) ثم على النوبة ومدينتها العظمى دنقله ثم

(١) تسمى كلمة الحبشة شعباً خليطاً أعطى هذا الاسم لهذه البلاد بسبب الشعوب المختلفة الذين اختلطوا بأهلها الأصليين . ونبينا التاريخ أن الحبشة أستولى عليها بالتتابع الاثيوبيون وقدماء المصريين واليهود والعرب . اهـ

أعلى اسوان ، ثم تظهر على ديار مصر ويحمل اليها من زيادات أمطارها ،
ويحرف من ترابها وهي محتاجة اليها معاً ، لأن مطرها قليل لا يكفي زروعها
وأشجارها ، وترتبا رمال لا تنبت شيئاً حتى يجي النيل بزياداته وطينه ،
فينبت فيها ما يحتاجون اليه وهي من أحق الأرض دخولاً في قوله تعالى :
« أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام
وأنفسهم أفلا يبصرون » ، ثم يجاوز النيل مصر قليلاً فيفترق فرقتين عند
قرية على شاطئيه يقال لها شطنوف وهي من عمل القليوبية ، فيمر الغربي منه
على رشيد ويصب في البحر الملح ، وأما الشرقي فيفترق أيضاً عند جوجر فرقتين
يمر الغربي منهما على دمياط من غربيها ، ويصب في البحر الملح ، والشرقي
منهما يمر على أشمون طناح فيصب هناك في بحيرة شرق دمياط يقال لها بحيرة
تنيس وبحيرة دمياط^(١) ، وهذا بعد بعد عظيم من ابتدائه الى انتهائه ولهذا
كان أطف المياه

(وقال ابن القيم في كتاب الهدى) : النيل أحد أركان الجنة ، أصله من
وراء جبال القمر في أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك وسيول يجر
بعضها بعضاً ، فيسوقه الله تعالى الى الأرض الجرز التي لا نبات بها ، فيخرج
به زرعاً تأكل منه الأنعام والأنام ، ولما كانت الأرض التي يسوقه سبحانه
اليها ابلزاً صلبة ، إن أمطرت مطر العادة لم ترو ولم تنهياً للنبات ، وإن أمطرت
فوق العادة أضرت الناس والمساكن ، وعطلت المعاش والمصالح ، فأمطر
سبحانه البلاد لعبيده ثم ساق تلك الأمطار الى هذه الأرض في نهر عظيم ،
وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة على قدر رى البلاد وكفايتها ، فإذا

(١) بحيرة تنيس أو بحيرة دمياط معروفة اليوم ببخيرة المنزلة

(٢) يقول جغرافيو العرب ان هذه البحيرة أصل نهرين الاول نيل السودان والثاني نيل مصر

روى البلاد وغمرها أذن سبحانه بتناقصه وهبوطه لتتم المصلحة بالتمكن من الزرع
وقال قدامة ان منبع النيل في بلاد القمر وراء خط الاستواء من عين
تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب في بطيحة في الأقليم الأول ،
ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل

وقال صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة
تسمى بحيرة كورى^(١) منسوبة الى طائفة من السودان ، يسكنون حولها
متوحشين ، يأكلون من وقع اليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج
نهر النيل ، وإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى^(٢) ثم بلاد قته طائفة من
السودان أيضاً وهم بين كانم^(٣) والنوبة ، ثم يغوص في الرمال ويمر تحت
الأرض مكتوماً من الجنوب الى الشمال ، ثم يظهر ببلاد النوبة ، فاذا بلغ مدينة
دقنة عطف من غربها الى المغرب ، وانحدر الى الاقليم الثاني ، فيكون على
شاطئيه عمائر النوبة وفيه جزاير لهم متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى
الجنادل واليه تنتهي مراكب النوبة انحداراً ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً
وهناك أحجار لا تمر المراكب عليها إلا في أيام زيادة النيل ، ثم يأخذ الى
الشمال فيكون على شريقه مدينة اسوان من بلاد الصعيد الأعلى ، ثم يمر بين
جبلين هما مكتنفان لأعمال مصر أحدهما شرق والآخر غربى حتى يأتي مدينة
مصر وهى القسطنطاط الذى بناه عمرو بن العاص ، فيكون على شريقه ، فاذا
جاوزها انقسم كما تقدم . قلت أى في قوله فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه
يقال لها شطنوف إلى آخر ما ذكره

قال صاحب الأقاليم السبعة أن النيل يخرج أصله من جبل القمر من

(١) تحوى بلدة كورى البلاد الجاورة لقبلى كردفان

(٢) تمتد كانم قبلى شرق برنو البلاد الجاورة للنوبة

عشرة عيون ، خمسة تجتمع في بطيحة وخمسة في بطيحة أى مكان منبسط من الأرض ، ثم يجتمع بعد ذلك الماءان وذكر صورة جبل القمر وأنه مقدس وعلى رأسه شراريف (شُرُفَاتٌ عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة شهاب الدين بن عماد رحمة الله تعالى في جزئه الذى جمعه في النيل وهو جزء لطيف جداً . وحكى فيه عن المسعودى أنه قال في كتابه (مروج الذهب) وأصل النيل وينبعه من تحت جبل القمر ومبدأ ظهوره من اثني عشر عيناً وجبل القمر خلف خط الاستواء يعنى الذى يستوى فيه الليل والنهار ، وأضيف الى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة والبُدْوَى والمحاق

قال المسعودى فتتصب تلك المياه الخارجة من الاثني عشر عيناً الى بحيرتين هناك ، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة

قال ثم يجتمع الماء منها جارياً ، فيمر برمال هناك وجبال ، ثم يخرق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فينبع منه خليج ينتهى إلى بحر الزنج^(١) انتهى ما أردته منه

ومن قال بأنه ينبع من جبال القمر السرج الكندى كما نقله عنه ابن عماد في جزئه المذكور ، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين

وقال صاحب السكردان وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهو بجبل (ق) ، وأنه يخرق البحر الأخضر^(٢)

(١) يقيم الزنج في الجزء الشرقى من افريقيا المعروفة باسم زنجبار

(٢) دعا جغرافيو العرب النيل الشرقى تارة البحر الازرق وتارة البحر الاخضر .

بقدره الله تعالى ، ويعر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج

قال الخاكي لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه ، لما كان يُستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته

وقال قوم مبدأه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة . وقال قوم مبدأه من جبال القمر وأنه ينبع من اثني عشر عيناً انتهى ما أردته منه وقال ابن عماد في جزئه المذكور وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة^(١) بالأرض المقدسة والعلم عند الله تعالى انتهى . ولم يبين قائل ذلك وقد بينته في موضع آخر من جزئه المذكور فقال وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة انتهى . ويدخل في اطلاق هذا القول النيل وغيره

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية النيل على غيره من الأنهار ، أن النيل يخوض في البحر المالح ولا يختلط به ، بل يجرى تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء ، قال ولهذا يظهر لركاب البحر في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في أماكن معروفة انتهى

ورأيت في مناقب أماننا الامام الأعظم والخبر المحترم الشافعي رضي الله عنه لأبي القاسم بن غانم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند وسيأتي كلامه في الفصل الثاني ان شاء الله تعالى والله أعلم

وكان بن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون سنة عن أشياء في أحوال مصر أين منتهى النيل في أعلاه ، فقال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الأرض التي الليل فيها والنهار متساويان

طول الدهر ، وهي تحت الموضع الذى يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم .
قال وما ذكرت فمعروف غير منكور . قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه
الحكاية ، وقد نقلها الشهاب بن عماد فى جزئه المذكور عن المسعودى فقال :
قال المسعودى

« وكان احمد بن طولون فى سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر
من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ، ممن يشار اليهم بالعلم ، وأنه
علامة بمصر وأرضها فى برها وبحرها واجنادها وأجناد ملكها ، وأنه ممن سافر
الأرض وتوسط الممالك وشاهد الأمم فى أنواع البياضان والسودان ، وأنه ذو
معرفة بأنواع هيئات الأفلاك وأحكامها ، فبعث اليه أحمد وأخلى له نفسه
ليالى وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجواباته ، فكان فيما سأله عن طول
الاحابش على النيل وممالكهم قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً فى ممالك
مختلفة ، كل منهم ينازع من يايه من الملوك وبلادهم حارة يابسة . قال فما انتهى
النيل فى أعلاه فقال البحيرة الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل والله أعلم
وقال أبو محمد عبد الله بن احمد الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة من
أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشعبه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء
علوه واجتماعه ببلدة مقره وتعطفه تعطفاً عجيباً قبل مدينتهم واقتراشه ، وأنه
يجرى بحرى دثقلة حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو أربعين فرسخاً
ويتضايق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل
معترضة فى غير موضع منه حتى يكون انصبابه فى باين أو ثلاثة أبواب
قال وقلمة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهى أشد الجنادل صعوبة لأن
فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب فى النيل ، والماء ينصب من ثلاثة
أبواب ، وربما يرجع الى باين عند المحداره شديد الخريز عجيب المنظر اشخور

الماء من علو الجبل ، وقبليه مرسى حجارة في النقل نحو ثلاثة أبرد الى قرية
بعوق يدسير وهي آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره
قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأسواني في كتاب أخبار النوبة عند
ذكر ناحية يقرن ما نصه :

وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من
المشرق إلى المغرب مسيرة خمس مراحل^(١) ، الجزائر تقطعه والأنهار منه تجرى
بينها على أراض منخفضة وقرى وعمائر حسنة . انتهى .

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله عن صاحب خزانة
التاريخ ان عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففي بعضها كما قاله
صاحب خزانة التاريخ أعني ثلاثة أميال فما دونها ، وفي بعضها كما قاله الأسواني
أعني خمس مراحل وهذا جمع حسن ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة
والله أعلم

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة^(٢)

قال أبو الخطاب وخلف الظلمة ضياء فسبحان العليم القدير . وفي تاريخ
ملوك مصر أن الوليد^(٣) أحد ملوك مصر من العماقة كان يعبد القمر وهو أول
من تسمى فرعون ، وأقام بمصر مدة ثم عن له أن ينظر مخرج النيل ويعرف
من بتلك الناحية من الأمم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ثم جمع جميع
ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً ، وتوجه فر على أم السودان ومر في

(١) أى عبارة عن مائة وخمسين ميلاً

(٢) قبل الوصول الى سلسلة القاف الجرافية توجد جهة مظلمة تنبع الناس المرور وربما تصد

المؤلف هذه البلدة الغريبة .

(٣) أن الوليد هو ابن سانس الذي ذكره غرغوريوس أبو الفرج في تاريخه المختصر عن

الاسر ، وانه من ذرية الملك ابن الليغاز وحفيد الاساير الذي جعل أولاده يقيمون في أدومية
الجاورة لارض مصر . وقبل عصر الوليد وفي عهد ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة

(٤)

طريقه على أرض الذهب^(١) وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضببان، ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القصر الذي عمله هرمس^(٢)، وصعد على جبل القمر وراء البحر الزفتي الأسود، ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق وأتاه من ذلك البحر روائح منتنة هلك بسببها كثير من أصحابه، وذكروا أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قرناً إلا نوراً أحمر مثل نور الشمس، ثم توجه راجعاً إلى مصر وأقام بها مدة، ثم ركب يوماً إلى الصيد فظفر به أسد فقتله، ودفن في بعض الأهرام وملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير وأما ما يذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواري حسناً وأشياء غريبة، وأن الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به إلى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر، أنه أمر قوماً بالمسير إلى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا إلى جبل عال، والماء ينزل من أعلاه له دوى وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه. ثم إن أحدهم تسبب في الصعود إلى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك، فلما وصل إلى أعلاه رقص وصفق وضحك

(١) روى الشريف الإدريسي: كان أهالي تاكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يستعدون أن الذهب نبات، وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في بابها، وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا، وفي سنة ٣٩٤ هـ، كان محمود بن سبكتجن السلطان الأول من الأسرة الجازنغنديين يتنزه مرة في بلاد سجستان التي قهرها، فوجد في أحد جبالها شجرة من الذهب الخالص وأن طولها يمتد ثلاثة أميال تحت الجبال، ولكن في عصر حكم ابنه السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلعت هذا الجبل وزال المنجم الذهبي. اهـ.

(٢) يعتقد الشرقيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم هرمس وعاشوا في عصور مختلفة، وأن هرمس المذكور هنا ظهر بعد أبينا آدم بألف سنة ومشهور أيضاً باسم ادريس اهـ.

ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه ، ثم أن رجلاً منهم صعد لينظر ففعل مثل الأول فطلع ثالث ، وقال اربطوا في وسطى جبلاً فاذا أنا وصلت إلى ماوصلا اليه ، ثم فعلت ذلك فاجذبوني حتى لا أبرح من موضعي ، ففعلوا ذلك . فلما صار في أعلى الجبل فعل كفعلهم فغذبه اليهم فقبل أنه خرس فلم يردّ جواباً ، فمات من ساعته فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك . انتهى

قال وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق إلى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما يرجع إلى بايين عند انحساره شديد الخريف عجيب المنظر لشخوز الماء عليه من علو الجبل ، وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة أبرد إلى قرية تعرف بيسير وهي آخر قرى مرسين وأول بلاد مقره

قال وأما هذه الأنهار التي مادة النيل منها والبحث عن ابتدائها والسؤال عن أوائلها ، فقد أكثر السؤال عنها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبراً يقول إنه وقف على نهاية جميع الأنهار ، والذي انتهى إليه علم من عرفني عن آخرين إلى خراب ، وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الأنهار آلة المراكب وأبواب وغير ذلك فيدل ذلك على عمارة بعد الخراب

وقال الوظواط الكتبي في كتاب مباهج الفكر أن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف وقيل أنه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام شهراً قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق في تاريخه

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه إلى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلاثي درجة كل درجة ستون ميلاً ، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلاثي ميل على الفصل والاستواء ، وله تعويجات شرقاً

وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه . وقال صاحب تزهة المشتاق في اختراق الآفاق : « وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً »

وذكر صاحب خزانة التاريخ أن طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً ، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فدادونها ، وعرضه ببلد مصر ثلثا ميل ليس يشبهه نهر من الأنهار . وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء ، قلت ما حكاه صاحب الأصل في تاريخ بن زولاق ادعى أبو قبيل الاجماع عليه ولفظه كما حكاه بن عماد في جزئه المذكور ما نصه . وأجمع أهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره وزاد فقال وايس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر انتهى والله أعلم »

أسماء النيل

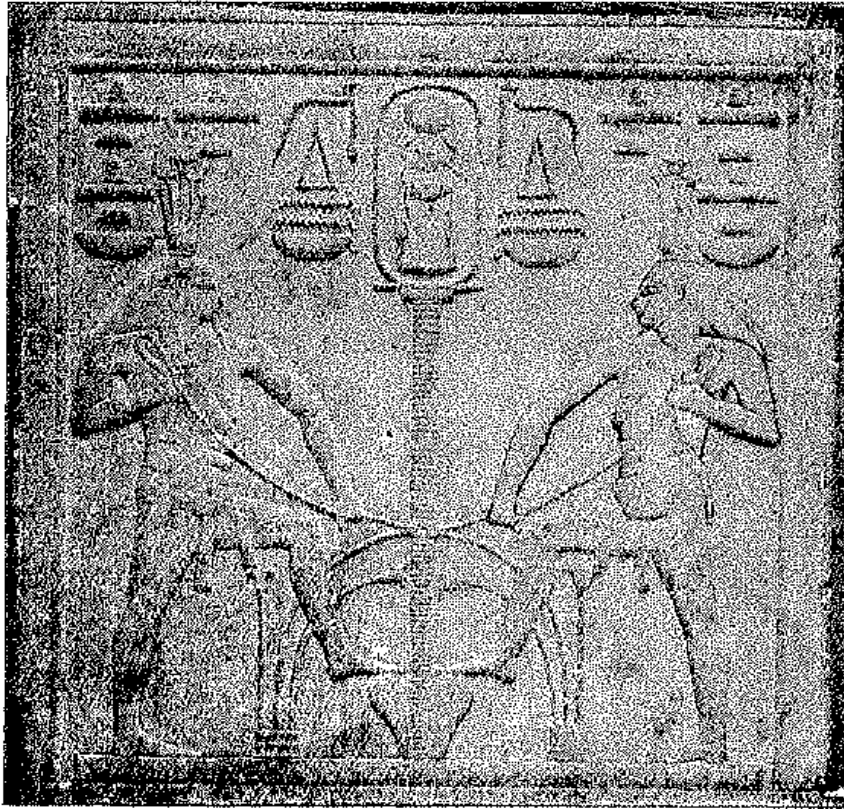
من النصوص المصرية القديمة

كان قدماء المصريين يعتقدون ان النيل الذي تروى منه الأقاليم القبلية نيلاً خاصاً ، واطلقوا عليه (حمب رسيت) ويقولون انه لولاه لما استطاع النيل المخصص لرى الوجه البحرى ايفاء الحاجة لأقاليمه ، وحددوا النيل القبلى (كاعتقادهم) بأنه يبتدىء من جزيرة أسوان ، والنيل الخاص بالوجه البحرى دعوه (حمب محيت) ، وقالوا ان ابتداءه من منطقة الدلتا المعروفة قديماً باسم

بابلون التابعة لاقليم هليوبوليس وقد نقش في معبد بيلاق النص الآتى
« ان نيل الوجه القبلى أبو الآلهة الخارج من مغارته (جزيرة أسوان) ونيل
الوجه البحرى الخارج من خزائنه »

ولما قدم لمصر هيردوت لمباحثه عن النيل ، وحادث في شأنه الكهنة
الصاويين حاولوا اقناعه بمقيدتهم هذه ، ولكن أظهرت المباحث الجغرافية
والحدیثة انها لا تطابق الصواب .

وكانوا يرسمون نيل الوجه البحرى على شكل رجل في ريمان الشباب ،
ضخم الجسم ثقيل الكتفين كبير الثديين ، متشح برداء عليه أثمار النيل فى
بلاد الوجه القبلى ولونها أزرق ، ويرسمون تمثال النيل للوجه القبلى على شكل
رجل متشح برداء فوقه أثمار النيل الممثلة ببلاد الوجه البحرى ولونها أحمر .



وكانوا يطلقون على النيل أسماء كثيرة ، جعلوا منها اسماً مقدساً له وهو
جمعي ، وتتش على حجر كانوب المحفوظ الآن بالمتحف المصرى فى القاعة
حرف T تحت رقم ٩٨٠ وتحتها العبارة الآتية « ان النيل جمعي تقص تقصاً
عظيماً فى عهد الملك بطليموس .



والعامية كانوا يطلقون عليه اسم آيور . وقال بروكش باشا فى قاهوسه
الجغرافى ان كلمة آيور هذه مشتقة من كلمة (اور) المنقوشة على مسلة اسكندر
ذى القرنين ، وجاءت فى اللغة القبطية باللفظ ذاته (يور — Your) أى النهر .
وترجمت التوراة فى عهد أحد الملوك البطالسة وذكر فى سفر الخروج اسم النيل
بلفظ آيور الذى يشبه فى النطق الاسم المصرى القديم . وقد ورد اسم نيل
الوجه البحرى بلفظ (وعر)

وقال بروكش باشا ان كلمة (وعر) معناها باللغة المصرية القديمة المياه الغزيرة في وقت الفيضان . وقال لباج رينوف انه ورد النيل باسم عرتى ، وان هذا الاسم يشبه كثيراً الفعل (ار) الذى معناها باللغة المصرية القديمة صعد .
وبعضهم اعطى للنيل من الجانب الغربى للقاهرة اسم ايوما (أى اليم - البحر) ، وورد هذا الاسم في قصة شهيرة (تدعى قصة الأخوين) مكتوبة باللغة المصرية القديمة ، وفيها كثيراً ما أطلق على النيل هذا الاسم (اسم البحر) حتى اليوم

واسمه الأسمى مجهول ، وقيل انه مأخوذ من اللغة اليونانية التى نقلتها من الشعوب الأجنبية كالفيثيين وقبائل ليبيا وأسيا الصغرى ولما بطلت عبادة النيل زال اسمه المقدس (حعبى) ، وأطلقوا عليه لفظ البحر أو النهر . وجاء في قرار ممفيس المنقوش بالديموطيقية (لغة الشعب) ان النيل كان فيضانه منخفضاً في السنة الثامنة من حكم الملك بطليموس أيفان ، وذكر فيه النيل بالديموطيقية بلفظ إل (أى النهر)

وجاء في ورقة بردية تتضمن علوم المعبودين فتاح وتحوت تسمية النيل بهذا اللفظ أيضاً ، وورد في مسلة منقوشة بالخط الفارسى أن داريس أمر بحفر قناة من النيل وعبر عن اسمه بالفارسية (P-ir-ia) (ب - ارع ا) فالباء أداة التعريف للمذكر المفرد بالهيروغليفية و (ار) يطابق (ال) بالديموطيقية (II-ir) ومعناه النهر و (ع ا) ومعناه كبير أى النهر الكبير أى النيل ووردت الباء أداة للتعريف للمذكر المفرد في كلمة يوم أى بحر فصارت ييوم ، والباء تقلب فاء فصارت فييوم أى مدينة الفيوم ومعناها البحر . وكذلك التاء فانها أداة التعريف للمؤنث المفرد في كلمة (مير) التى معناها فيضان النيل وبالقبطية ميرة فصارت بالعربية العامية (دميرة) أى فيضان النيل

وذكر في قصة سنننا المكتوبة بالديموطيقية اسم النيل (ن - إل) ومعناه النهر فالنون أداة التعريف للجمع المذكور «وأل) معناه النهر ويلاحظ أن اسم النيل عند قدماء المصريين يدعى (ار) أو (ال)، واشتق منه الديموطيقى بلفظ (ال) وكذلك القبطية، ولكن هؤلاء استعملوا الكلمة الديموطيقية (ن - إل - و) فالنون أداة التعريف للجمع المذكور كما تقدم و (ال) معناه النهر و (و) علامة للجمع. ومن كلمة نيلو اشتقت الكلمة اليونانية (Nilos) أما الصاد في (نيلوص) فيطابق الحرف السادس عشر من الأبجدية اليونانية

وليلاحظ القارئ النظرية الآتية القديمة المعهد النربية في كلمة نيلوص (Neilos) التي ربما كانت من اختراع اليونان أنفسهم وإن عدد أيام السنة المصرية (٣٦٥)، ومن الغريب إذا حسبنا كل حرف من كلمة نيلوص بحساب الجمل اليوناني، صار مجموعها الكلي (٣٦٥) وهو مجموع أيام السنة المصرية واليك جدولاً يتضمن هذا الحساب:

حروف Neilos نيلوص حسب الأبجدية اليونانية

	عدد الجمل	
N	٥٠	...
E	٥	٣٦٥ - ٥٠ الباقي ٣١٥
T	١٠	٣١٥ » ٥ - ٣١٥
L	٣٠	٣٠٠ » ١٠ - ٣١٥
O	٧٠	٢٧٠ » ٣٠ - ٣٠٠
S	٢٠٠	٢٠٠ » ٧٠ - ٢٧٠
	٣٦٥	المجموع

أن مجموع الأعداد المذكورة ٣٦٥ (٥ + ٦ + ٣ = ١٤)، وهذا العدد هو الحرف الرابع عشر من الأبجدية أى النون والعدد الجملى ٥٠ كما تقدم وهنا للنقد مجال إذ من المبادئ المتبعة أن الكلمة تشتق من مأخذ

واحد فكيف يكون اسم نيلوص مأخوذاً من اللغة السامية العبرية (نهر) ومن اللغة المصرية القديمة (ن — ال — و) أو من اسم مخترع مركب من الأعداد ٣٦٥. ومن السهل معرفة نتيجة شيء واحد وان كانت أسبابه كثيرة، فن الممكن أن يكون اليونان قد سمعوا من الساميين لفظة نهر عن النيل، وتعلموا من المصريين أن فروع النيل التي تمر بالدلتا تسمى (ن — ال — و) أى الأنهر، ولكن من الصعب فهم أسباب كلمة نيلوص وهو ٣٦٥ الموافق تماماً لعدد أيام السنة المصرية

وقيل إن لفظ النيل كلمة عربية مشتقة من نال فان النيل نوال من السماء وان الهنود نقلوا اسم النيل الى بلادهم ومنها النيلة (الصبغة) كما نقله قبلهم العجم والعرب الى لغاتهم

وجاء في تأليف الفيلسوف أراتوستين^(١) (Aratosthène) أن أحد الملوك كان يسمى نيلوص ومن اسمه اخذ اسم النيل

وقال بلين المؤرخ الروماني إن النيل يخرج من بحيرة تدعى نيلوص واعطى هذا الاسم للنيل نفسه

فيتضح مما تقدم أن كلمة نيل لم تجتمع آراء المؤرخين على حقيقة مأخذها بل تشعبت الآراء كما عامت، والذي أراه أن الأقرب هو أن النيل أخذ من لفظة نيلوص اليونانية المأخوذة من الكلمة الديموطيقية (ن — ال — و) أى الأنهر كما تقدم

(١) فيلسوف شهير من مدرسة الاسكندرية القديمة. ولد في سبرين (Cyrène)

سنة ٢٧٦ ق م .

سيحور

لم يكن سيحور اسماً للنيل كله عند قدماء المصريين كأثور وغيره ، بل كان اسماً لجزء منه وهو الجزء الواقع في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى الذى كانت قاعدته مدينة ذور كما يستفاد ذلك مما وجد منقوشاً على جدران معبد ادفو باللغة المصرية القديمة ؛ فقد نصت هذه النقوش على أن هذا الاسم (سيحور) كان عاماً على جزء من أجزاء النيل في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى ، ثم توسعوا فى استعماله ، فأطلقوه على النيل كله من باب اطلاق الجزء على الكل كما يسميه علماء البلاغة (بالجاز المرسل) ولهذا الاطلاق نظائر فى جميع اللغات

ويؤيد هذا ان شيحور (باشين المعجمة) كلمة مصرية قديمة مركبة من كلمتين الأولى (شى) ومعناها بحيرة والثانية (حور) ومعناها المعبود وكان يطلق عليه حور أو هور أو حورس أو هورس وهو إله هذا الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى المذكور وكان رمزاً للشمس التى هى أكبر الآلهة عندهم فعنى شيحور اذن بحيرة حور أى بحيرة الإله المسمى بهذا الاسم ومما ورد فى رواية مصرية قديمة « أن النيل يتدىء من جزيرة اسوان ويمتد الى شيحور فيؤخذ من ذلك أن شيحور هو الجزء الأخير من النيل ، ويمكننا أن نقول أيضاً أن شيحور آخر الحدود المصرية القديمة ثم لما أتى الاسرائيليون أرض مصر فى عهد الأسرة التاسعة عشر ، واختلطوا بالمصريين سرت اليهم كلمات كثيرة من اللغة المصرية القديمة وامتزجت بلغتهم العبرية ، ولذلك وردت بمعنى أسود واطلقوها على النيل

للدلالة على مياهه المكدره (بفتح الدال المشددة) وطميه « الطينة السوداء »
الذى يتركه وقت فيضانه

وجاءت أيضاً كلمة شيجور في التوراة في سفرى ارميا واشعيا ويفهم من
كلامهما أن المراد بها النيل أو جزء منه

وقد نطق بها « الزبور » فانه جاء فيه أنه لما أراد سيدنا داود نقل تابوت
العهد الى مدينة اورشليم جمع الاسرائيليين المقيمين في البلاد من شيجور الواقعة
في الجنوب حتى (أماث) الواقعة في الشمال . ويفهم من عبارة الزبور أن شيجور
كانت الحد الفاصل بين الأراضى المصرية وأملاك بنى اسرائيل

وفي سنة ٢٨٣ ق . م . ترجمت التوراة من العبرية الى اليونانية بأمر
بطيالموس فيلادلف وسميت الترجمة السبعينية لأن الذين ترجموه كانوا سبعين
حبراً من أحبار بنى اسرائيل ، ثم ترجمت بعدئذ الى اللاتينية ودعيت « فلجات »
أى العامة (Vulgate) فترجمت لفظه شيجور بلفظ النيل . إذن فهم الأقدمون
أن كلمة شيجور هي نفس كلمة النيل



ولا بأس من أن نثبت هنا خلاصة بحث جديد هو آخر ما اطلعنا عليه
في نوعه للعلامة الجليل المرحوم احمد باشا كمال أمين المتحف المصرى سابقاً
في رسالة أفردها بالبحث عن أسماء النيل واشتقاق التسمية فقال :

الى الآن لم يهتد أحد من الأثريين الى اسم النيل بالتحقيق ، بل وجدوه
في العربية واليونانية فقال إنه مأخوذ من اللغة الفينيقية أو الآشورية الى نحو
ذلك ، ووقف بحمهم الى هذا الحد فخرجه (جروف) بطريقة لا تنطبق على
الحقيقة لما فيها من التكاف . ولكن هناك لفظ مصرى دال على النيل لأنه
ذكر في الجدول الشامل لأسماء هذا النهر المبارك المنقوش على الآثار ، ونقله

بروكش في قاموسه الجغرافي (فراجمه في الصحيفة ١٤٠٨) وهذا اللفظ هو (ننو ويننو) ورد أيضاً في قاموس اللغة للأثرى المذكور (جزء ٣ الصحيفة ٧٧٩ وجزء ٤ الصحيفة ٦٧٨) وذكر كثيراً في النصوص المصرية، ونونه الأخيرة تقاب في العربية لأمماً إذا اريد مقارنته بالنيل كما سترى في الأسئلة الآتية من انقلاب النون المصرية الى اللام في العربية

ن : حرف نفي في المصرية ويقابلها في العربية والعبرية لا

نن : معناه الليل بقلب النونين لامين (وخلفه اشارة السماء مزينة بالنجوم)

نن . نو : الاء اللائى اسم اشارة في اللغتين

نز : لوز شجر معروف

نت : التى ، الذى (لأن التاء تقاب ذالاً) اسم موصول في اللغتين

نبن . نبنن : لبنى وهى شجرة الميعة أى المصطكى

نخب : لقب والقاب الخ

إذا علمنا ذلك جاز لنا أن نقول إن (ننو) أو (نينو) هو النيل لأن هذا التخريج لا يخرج الكلمة عن المعنى الذى وردت بها في اللغة المصرية، اذ قد ذكر في ورقة هريس (Harris 1, 18, 0) نص معناه : قربان الأعياد الكبيرة لمبدء (ننو) أى القرابين التى كانت تقدم للنيل في مبدء الفيضان ، في نقوش دندرة عبارة معناها (Dont Hist. Ins. 29) دمهم مثل (ننو) أى مثل النيل وجاء أيضاً في صحيفة ٢٥٦ من قاموس بروكش الجغرافي هذا النص : جبلا (ننو) أى الجبلين المحيطين بالنيل عند الشلال الأول - (وننو) تطلق أيضاً في اللغة على جدول القسم العاشر في الوجه البحرى (راجع كتاب الجغرافية بروكش بصحيفة ١٥ و ٢٥٢ والجزء الثالث منه الصحيفة ٢٩)

أما اسم النيل المقدس فهو (حعب) و (حعبى) والباء فى المصرية تأتى لتضعيف الحرف الأخير

واعلم أن (الحاء) و (النون) و (الزاء) تسقط فى بعض الكلمات المصرية وهذا أمر معلوم عند الاثريين فمثلاً كلمة (أمن حتب) اسم من أسماء ملوك مصر ذكر فى اليونانية باسم (امنوفيس) فان فاء الكلمة تحذف منه فى أول الى العربية فهو يقابل طاب يطيب طيبة والصفة منه طيب وطيبة الخ فكلمة (حعب) تقابل إذن فى العربية « عب » البحر عباباً : ارتفع وكثر موجه) وعبت : مياه متفرقة (وعباب) معظم السيل وارتفاعه وكثرته وقيل موجه

واليعبوب (قال أهل اللغة إن الياء فيه زائدة) النهر الشديد الجريان والجدول الكثير الماء (فعب) أى (اليعبوب) اسم متداول كثيراً فى اللغة وذكر فى مدحة النيل التى كتبها ماسبرو وترجمها فى كتاب قصص العوام المصرية واليك مطلع هذه المدحة عن ترجمتى لا ترجمة ماسبرو

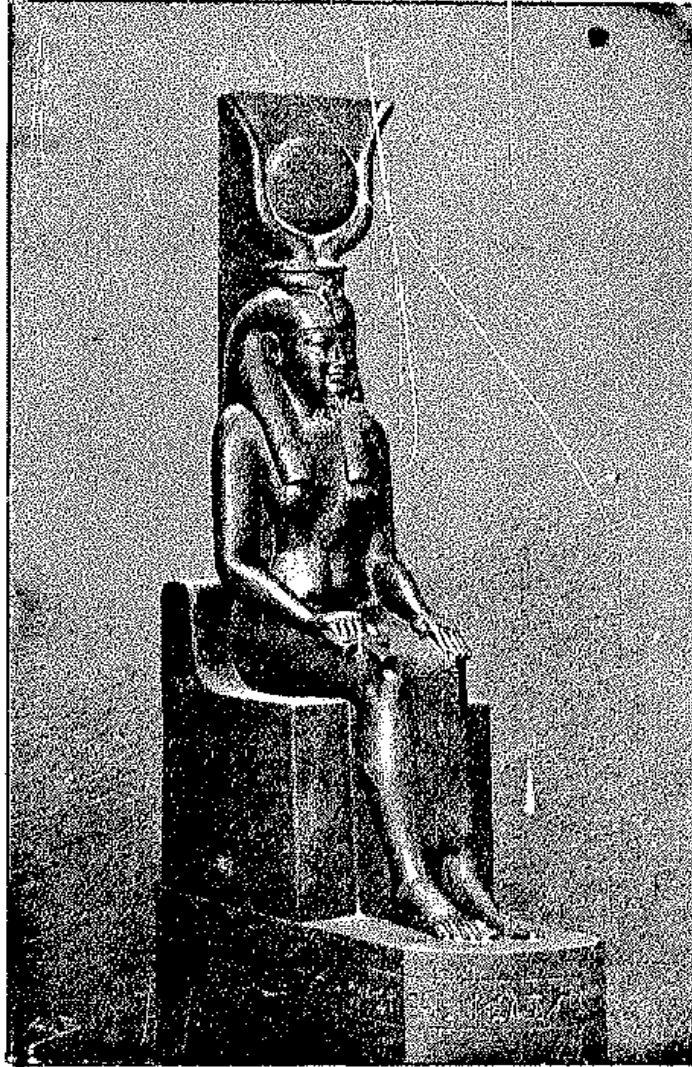
تعظمت أيها اليعبوب تنزهت أيها اليعبوب (حرف النداء محذوف كما يأتى ذلك فى العربية) البارز فى هذه الأرض السائر لعيشة مصر مسيرك كمين ليلاً ونهاراً مسيرك ممدوح لأنه يروى الحقول التى أوجدتها الشمس ليميش جميع الحيوانات ويروى الصحراء البعيدة عن الماء . نداء هو السماء (أى مياهه من المطر لأن هوى السماء هو ما يهوى منها فى الماء أى المطر) فالأرض تروم وتتقرب بالحلب (أى تجود بالمحصول) الخ

أما أسماء النيل الواردة فى الجدول المنقوش على الآثار فهى اثنان وخمسون اسماً استعملت اما بوجه الحقيقة أو بوجه المجاز لعلاقات معلومة عند أهل اللغة قديماً

فيضان النيل وأسبابه

عند قدماء المصريين

كان فيضان النيل الدوري أمراً هاماً لسعادة مصر، وأيقظ أنظار أولى الأمر إليه فجدوا في وسائل تحسينه، وإن هذا الفيضان الطبيعي الذي يفسره العلم الحديث بكل سهولة، كان في عقيدة قدماء المصريين دليلاً ساطعاً على أنه لا يتم إلا بعمونة وقدرة إلهية.



المبودة إيزيس والاصل بالمتحف المصري

قال پوزانياس المؤرخ اليوناني الجغرافي المولود في القرن الثاني ق . م ، إن المصريين اعتبروا النيل في بدء فيضانه مجموعة من دموع المعبودة إزيس التي تبكى زوجها أزوريس . وقال لاج رينوف يحتمل أن يكون هذا تقليداً قديماً ، لأن إزيس وأختها نفتيس تسميان في كتاب الموتى بالنادبتين . وجاء في نصوص أخرى كثيرة أن مجرى النيل منسوب لإزيس أو لمعبود آخر مثل سوتيس الشبيه بإزيس ومن الغريب ان جميع سكان مصر لا يزالون على اعتقادهم القديم ، بأن يوم ١١ من شهر بؤونة الموافق ١٧ يونيو تنزل فيه نقطة ، فتسبب فيضان النيل ولا زالت تعرف إلى الآن بليلة النقطة .

والجدير بالذكر هو معرفة أسباب الفيضان الواقع بأمر إلهي كما يعتقدون



المعبودة نفتيس
والاصل بالمتحف المعري

ينتظر المصريون أشهر الفيضان بلهف وشغف ، فان تأخر قليلاً بسبب غير متوقع ، فزعت القلوب وخافوا من الدمار ، وتكسد الأعمال ، وتنتشر الأوبئة ، وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً ، ويعقب ذلك اضطراب في الأحوال ، وتنضب ينابيع الثروة ، وتتوالى العداوات والمشاحنات بين الناس ، وقد يستيجون الاعتداء على بعضهم . وحينما يأتي الفيضان ، تسكن تلك المخاوف وترتفع الشرور ، ويستقبل الناس أسباب سعادتهم ، ووسائل رزقهم بالنشاط والبشاشة ، فيقبلون على المستلزمات الزراعية ، ويم الفرح القلوب الى درجة تقل معها نسبة الوفيات في

البلاد عن اعتيادها في الأيام الأخرى ، وتقام للفيضان مظاهر الاحتفاء كأكبر الأعياد . ويظهر أن الفيضان يقتزن بزمن ظهور نجمة الشعرى المعروفة بالشعرى اليمانية في السماء . وقد جاء في نقوش معبد دندرة أن سوتيس الاله يجلب الفيضان ، وإنه يشبه إزيس أم حورس التي تفيض من دموعها ماء النيل . وكان بمدينة أسوان معبد خاص لعبادة إزيس سوتيس احتراماً لذلك ووجد في بعض نصوص مصرية قديمة ان النيل يبتدىء فيضانه في أول السنة المصرية ، ويعرف بدؤه بظهور النجمة سوتيس في فصل الصيف في السنة المصرية القديمة .

وورد في ورقة هريس السحرية البردية أن ظهور النجمة المذكورة يوافق ابتداء الفيضان ، واتفق جميع المؤرخين على ذلك . وقال هيردوت وديودور الصقلي وبلين ان النيل يبتدىء في زمن انقلاب الشمس في الصيف واستدام جهل قدماء المصريين بأسباب الفيضان مع اعتقادهم بأنه من دموع إزيس ، وظنوه ناشئاً عن الرياح الشمالية . ولكن ديودور الصقلي خالفهم في ذلك ، وأبدى أن أمطاراً كثيرة تنزل في كل السنين ابتداء من الصيف حتى يتعادل الليل والنهار في فصل الخريف . ومن المعقول جداً أن ينخفض النيل في الشتاء ويزداد في الصيف من تهطل الأمطار التي تهبط عليه ، فهي التي تأتي دائماً الى مصر من أثيوبيا ، فتملأ في الصيف مجرى النهر وهذه النظرية صحيحة ، وهي أصدق المعلومات عن السبب الوحيد في فيضان النيل الذي هو مصدر الحياة لمصر وقاطنيها .

تتراوح مدة الفيضان بين تسعين يوماً أو مائة (على رأى قدماء المصريين والأقباط) . ويبتدىء الفيض رويداً الى يوم ٢٠ سبتمبر ، وهو أقصى مدته ، وتتغير مياه النيل أثناء زيادته ، فتكون خضراء في الأوائل حينما تقذف الزيادة

من مجاريها المياه الراكدة في مستنقعات بحر الفزال ونحوه ، ثم تصير حمراء قاعة مغبرة حينما تنزل من سطوح جبال الحبشة الرمضاء ، ومنها تتحدر الى النيل الأخضر والنيل الأحمر اللذين أشبهها ساكني تلك الجهات المجاورة . وهذه التغييرات لم تمنع ماء النيل من صلاحيته للشرب . وقد جاء في أمثال العرب (على سبيل المبالغة) ان من شرب من ماء النيل مرة يشفق أن يشرب منه أبداً . وبالغوا من قديم في شهرته وخواصه ، حتى زعموا أنه يبعث الأموات في الدار الآخرة . وذكر في كتاب الموقى أن من أكبر مشتهيات الميت الشرب من المياه الباردة الآتية من نهر الجنة الذي كان يشبه النيل

واعتاد قدماء المصريين كما اعتاد انشاء هذا العصر اعتبار النيل المورد الأول لحياتهم وأرزاقهم ، فيحتفلون بالفيضان ومستوى الزيادة احتفالات سنوية . فإذا تأخر فيضانه امتلأت المعابد بمن يؤديون الصلوات والتضرع ، ويقدمون الضحايا ابتهاجاً للآلهة في أن يجود النيل عليهم بفيضه المعتاد . فإذا أبطأ ولم يستجب دعائهم ، توجهوا الى فرعون ليضرع معهم في طلب الزيادة ، فيسمع النيل أمر أبيه فيأتي فتعم الأفراس ويأخذ القوم في الاطمئنان على معايشهم ورخائهم .

النصوص المصرية القديمة الخاصة بالفيضان قليلة وما ورد منها لم يؤيد قصة سيدنا يوسف عليه السلام

وقد ورد في شاهد حجري ترجمه بروكش باشا انه وقعت بمصر مجاعة دامت سبع سنين ، ولم يمكن الجزم بأنها هي السبع سنوات الواردة في نص التوراة أو غيرها واليك ترجمتها :

يقول الملك لرجال بلاطه : « أنا الملك حزين على عرشي ، وقلبي مضمم بالكآبة لتأخر النيل عن فيضه المعتاد سبع سنوات ، فأصبحت ثمرات

الأرض نادرة ، وجفت الخضرة ، واستحال كل شيء على وجه الأرض . انى أفكر كثيراً فيما مضى ، وأتضرع معكم الى إِنْجُتِبْ بن فتاح الذاهب الى منبع النيل لئمنحنا جميعاً الشفاعة والإغاثة بفيضه سريعاً »

وورد في حجر كانوب المحفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٩٨٠ بقاعة حرف T بالطبقة السفلى أنه فى عهد الملك بطليموس افرجت الأول سنة ٢٣٨ ق . م اشتد انخفاض النيل وحدثت بذلك الأهوال والمجاعة

وقال الفيلسوف سنيك : إن النيل لم يفيض سنتين ، أولاهما فى السنة العاشرة فى حكم الملكة كايوبطرة . ويؤكد لنا كليماك أن النيل سبق أن تخلف فيضانه عن عادته تسع سنين لما قتل بطليموس پومباوس الرومانى (Pompée) الشهير ، حتى قال رجاله إن النيل لم يفيض غضباً لارتكاب هذه الجناية فى أرضه

وقد يتجاوز النيل فى زيادته الحد المعتاد ، وأحياناً تبلغ الزيادة الى درجة الخطر فتكون البلاد تحت نطاق الحصار ، وتهدم مبانيها وتفسد مدخراتها الزراعية ، وتتعطل المواصلات ، ويلجأ المستطيعون الى النجاة بأرواحهم آبقين الى الأراضى العالية أو حواجز الجبال ان كانوا قريبين منها

وفى أنشودة النيل عن تأخره بعض السنين ، ما يثبت أن تأخير فيضانه كما يضر بالأدى والحاصلات الزراعية المدخرة ، يؤذى البهائم أيضاً ، لأنها لا تجد ما تعودت الاقتيات به من الحشائش ونحوها التى كانت تجوب الأودية فى طلبها قبل أن يغمرها الفيضان ويقطع عليها السبيل

ووجد باللغة المصرية القديمة فى جدران فناء معبد أَمِنْجُتِبْ الثالث بالأقصر أنه حصل فيضان زائد فى عهد الأسرة ٢٢ ، فامتنع الناس عن حفلات المعبد ، وخربت الأرض وما فيها ، ولم توقفنا الآثار على شيء من هذا القبيل

في العصر الفرعوني، ولم يذكر لنا شيئاً مؤرخو اليونان والرومان، بل أجمعوا على مدح جمال مصر في أزمئة فيضانها المعتادة، وإن به يتغير منظر البلاد ويتلطف ميزان الحرارة في الجو

وقال سنيك الفيلسوف: « ما أبدع منظر مصر وقت فيضان نيلها على الأودية والحقول » وقال هيردوت: « إن مصر تصير بجزراً في ذلك الوقت وأن النيل إذا بلغ ارتفاعه ١٥ أو ١٦ ذراعاً اعتبر الفيضان مباركاً وأيدت هذه الأقوال المعلومات المستفادة من الأوراق البردية، والنقوش الموجودة على الحجارة الأثرية



نيل مدينة تانيس

تمثالان يمثلان نيل الوجه القبلي ونيل الوجه البحري وهما يمثلان آثار النيل من الأسماك والطيور المائية وزهرة اللوتس ويتضمنان مدينة لمثت مصر .
والاصل بالمتحف المصري بالطبعة السنلي بالطرقة رقم ٥٠٨

ومتى انتهى الفيضان ، أو كما يعبر قداماء المصريين في لغتهم لما تخرج
الأرض من الماء ، يباشر الفلاح الزراعة ، فتغطي الخضرة وجه الأرض ،
وتصبح على سعتها بساطاً سندسياً يبهر النواظر ويروق الألباب

وإذا بلغت زيادة النيل أكثر من ذلك ، تعطلت مواعيد الزراعة ، وإلى
هذا أشار مارييت باشا في قوله : إن مصر كما تهتز بالجنح إذا تأخر الفيضان
فكذلك يعمها الضرر إذا كان فيضانه زائداً عن الحالة المألوفة . ولهذا فحياتها
تتوقف على اعتداله في مجيئه بأونة الحاجة إليه وعدم زيادة فيضه عن قدر
هذه الحاجة .



التنبؤات المصرية القديمة الخاصة بالنيل

ورقة انسطاسى البردية

أو

سفر ابوور المتنبى المصرى القديم

منذ ٤٠٠٠ سنة

بلغت العناية بأمر النيل في مصر اجترأ كثير من المتصدرين للبحث والعلوم على تنبؤات كثيرة فيما يختص بزيادته وتقصانه وما يعترى الأمة في أدوار القحط من الانزعاج والألم والانكماش . وكان من تصدر عنهم هذه التنبؤات يجهرون بها بين يدي الفراعنة في وقتهم ، ويتلقاها الناس بتشوق شديد ، وحرص مستمر لمقارنة الحوادث وتطبيقها عند وقوع شئ منها بما يكون منافياً أو مؤيداً لهذه الأقاويل . ومن ذلك ورقة انسطاسى البردية التي توجد في متحف لندن تحت رقم ٣٤٤ ، اشتهرت بورقة انسطاسى لأنه هو الذي اكتشفها في مدينة ممفيس بالقرب من سقارة ، وابتاعها منه متحف لندن سنة ١٨٢٨ مكتوبة بالهيراطيقية من وجهيها ويرجع عهدا الى عهد الأسرة ١٢ أو ١٩

ومما اشتملت عليه قول ذلك المتنبى أنه سيأتي على مصر دور تقل فيه مياه النيل ، ويتبع ذلك كساد الأحوال ، وتنتشر الأوبئة وحوادث الثورات واراقة الدماء ، ويتغلب الصعاليك على الأعظم ، وتتمدد الحروب الداخلية ، ويتوالى الانقلاب ، وتسود بعض العناصر المنحطة ، وتنفرد بالسيطرة ،

ونهب الأموال من ساداتها ، وتكثر نساءهم من النجمل بنفائس العقود
والقلائد ، وتحل التعاسة ببعض الطبقات الراقية حتى يعودها طلب القوت ،
وتكثر الدخلاء حتى في العلماء ، وتُنْتَهَكُ أماكن العبادة ، وتعطل الشعائر .
فالويل كل الويل لمن يجعل في عصره أقل إمكان لوقوع أقل شيء من هذه الشرور
ثم تنتهي تلك الدورة المؤلمة ، ويسود السلام ، ويعود النيل الى فيضه
المعتاد ، وتسترد الأرض بهجتها ، وتعود الى النفوس مكائنها على يد من يسخرهم
الله لسعادة الانسان »

ومن هذه الأساطير وأمثالها يعلم أن عظماء الفراعنة وأئمة الباحثين
كانوا يعاقبون كل شيء في مستقبل البلاد على فيض النيل وانخفاضه ، ويرتبون
نتائج الخير على بركات الفيضان ، ويتشاءمون بكل حوادث الشر في السنوات
التي يكون فيض النيل فيها بطيئاً أو منخفضاً ، ولا ننكر أن حياة مصر قديماً
وحديثاً تتفاوت في الرخاء والنعم بقدر ما يغمرها به نيلها المبارك أدامه الله
لها مستفيضاً بالخيرات والسعادة ، ووفق رجالها العاملين الى الصالح العام في
كل أدوارهم الكريمة

أعمال ملوك الأسرة (١٢) في النيل

اشترك الفراعنة مع الشعب في عقائده نحو النيل ، وفي الاهتمام بكل
شؤونه كواجب فطري تألفوه بالتوارث ، ثم رأى الممتازون منهم بقوة الفطنة
وحب الاستطلاع والتشوق في زيادة المزايا العمرانية التوسع في المباحث ،
فابتدأوا بانتداب المتضلعين في العلوم الفنية ، فأرسل بعضهم مهندسين
للسلالات لحصر الارتفاعات التي وصل إليها النيل في مدد الفيضان ، ليقيموا

بنسبتها الجسور ، ويشيدوا الخزانات . وبإتمام هذه الاصلاحات النظامية سميت مصر قديماً الأرض المرواة أو المتصلبة بالقنوات ، أو الأرض السوداء ولا غرو في ذلك لأن مصر أرض زراعية ، والزراعة هي الوسيلة للثروة ، وحياة الزراعة تستلزم العناية بالمياه في الايراد والصرف كيلا يضيع جزء منها في أراض مهمله ، ولا تحرم الأراضى الزراعية الخصبه من كفاية المياه لريها وانماء مزارعها . وعرف قدماء المصريين ان مياه النيل المتدفقة بالفيضان ، تنقل كل عام كميات من الطمي النقي الذى يمنح الأرض زيادة في الخصوبة وجودة في الزراعة ، فاجتهدوا في توصيل هذه المياه بمحتوياتها الى الجهات القاصية ، لتأخذ حظها مما تجود عليها به طبيعة الفيض . فالعناية بموازنة المياه في الاستجلاب والصرف ليست من الوسائل الحديثة أو من مبتكرات الأجيال الأخيرة كما يدعى الزاعمون ، بل إنها من مجهودات الأفكار المتواليه في عهد الفراعنة ، فامتازت الأرض بكثرة الانبات وتعدد المحاصيل ووفرة الثمرات منها باسباب ترجع إلى توفر المياه ، والى فاعلية الشمس وحرارتها ، واعتدال العنصر الأرضى ، حتى أن الحبة الواحدة قد تبلغ فى الانبات الى مائة حبة ، فكانت مصر أمام بقية الممالك أشبه بخزائن حاصلات لكثير من الممالك ، وكانت تعد كمستودع الأرزاق للعالم الرومانى مثل بلاد توميدي

وقد جاء فى التوراة أن ابانا اسحق أرسل ابنه لمدينة ممفيس لاستجلاب القمح . وكان الفيضان الدورى يخفف عن الفلاح معالجة أرضه فتجود عليه بالحبوب والحاصلات الوفرة ، وهو لا يتكبد الا تخطيطاً بسيطاً فى مواسم التقاوى وانتقاء أنواعها ليبنى من حسن تقاوتها وتوفر مياه الري لديه خيرات وافرة .

ووضعوا في تلك العصور الماضية اللوائح والقوانين المشجعة على التحسين الزراعى ، ومكافأة المجتهدين مكافأة مالية ليقتدى بهم الغير . وكانت الأراضى تقسم بين المزارعين بنسبة أفراد العائلات وخبرتهم الزراعية اذا كانت مساحة الأرض على سعة تمكن من كل ذلك ، ومدد الجدول وانشاء المجارى ونحوها رغبة فى تعميم الفائدة وتسهيلاً على الزراع فيما تشتد حاجتهم اليه

وكان كل عصر من الفراعنة يفتخر بما أحدثه من أنواع التحسينات ، ولا يصرفه الاهتمام بما أحدثه عن دوام العناية بما استجد منها فى عهد أسلافه رغبة فى تخليد المنفعة لنسبها ، وابقاء الذكر الحسن لمن أذى للبلاد عملاً مشكوراً ، لأن الجسور ونحوها ان لم يتعمدها ولاية الأمور بالعناية والاصلاح والقنوات والمجارى ، وان لم يتخذ نحوها الترميم والتطهير كل سنة فى الوقت المناسب له يترتب على تركها انحطاط درجة الأرض من الخصوبة الى الجذب ، وتتحول حالة الملاك من السعادة الى الشقاء

وقد عثرنا على نص رقيم حكومى صدر فى عهد الملك سنوسرت الثالث يأمر بترميم قناة وهذا نصه : (دلالة على ما سبقت أشارتنا اليه) : « فى السنة الثانية من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى الملك سنوسرت ، الحى الارادة الدائم الذكر ، أمر بانشاء قناة جديدة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً وعمقها خمسة عشر ذراعاً »

ووجد منقوشاً على شاهد أقيم للملك تحوتمس الأول : « انه فى السنة الثالثة من حكمه ، وفى اليوم ٢٢ من الشهر الأول من فصل الحصاد ، أمر الملك المعظم بحفر هذه القناة ، شكراً لمعونة الرب الأعلا ، وإسدائه بالنعمة على شعبه بمناسبة فوزه بالنصر والفوز على بلاد كوش . »

وفي عهد تحوتمس الثالث أنشئت قناة أخرى بعد ما أن ملأتها الحجارة . وفي هذا المرسوم نص بالزام من يزاولون مهنة الصيد في جزيرة أسوان بتطهيرها سنوياً ، لأنهم هم الذين يترددون عليها لأعمال الصيد بالزوارق وغيرها يتسببون في انهيار ميول الجسور تساقط الحجارة حولها حسب مستلزمات مهنتهم ، فن العدل انهم كما ينعنون الأرباح بالصيد منها يتكبدون بعض الاجراءات الواجبة لتطهيرها وصيانتها حتى لا تنطمس مجاريها ولا يتمطل الانتفاع بها

وقد وضعت في عهدهم القوانين الشديدة بالمقوبات الرادعة ، والجزاآت الراجرة لمنع الناس عن إحداث أى ضرر بمجارى المياه وطرق المواصلات ، وعدم مس الأعمال الزراعية والمحاصيل أيضاً بأى ضرر أو تلف ، لأنها في واقع الأمر أعدت لمنفعة المجتمع العمرانى . وليس قيام الأفراد بالخدمة والزراعة فيما يكون تحت ملكيتهم إلا من أنواع التعاون الضمنى ، لأن كل فرد يؤدي خدمة شخصية ترتبط بالمنافع العامة . يعتبر خادماً للمجتمع وإن لم يقصد هو في عمله هذه الملاحظة

وقد وجد في نصوص الكتاب المقدس في كتاب الموقى ما يؤيد هذا الاهتمام الحكومى الذى تتناقله الأجيال : « انى لم أقطع قناة في ممرها ، ولم أخالف نظام الرى ، ولم أئلف الأراضى الزراعية »

وقد وجدت نقوش في قبور الأمراء بأسىوط تدل على الأعمال التى تمت لإصلاحات النيل في عهد الأسرة الهراقلوبولتية . وفي هذه النقوش إشارة الى أن الملك خيتى الأول يفتخر باستيلائه على المياه وحسن التصرف فيها كيفما شاء ولم تكن في الوجه القبلى إلا أراض منحطة ، فاهتم بحفر قناة كبيرة في الأراضى الشراقى ، وأقام لها أبواباً ، وغير مجرى المياه القبلىة ، فوصلت إلى حد لم تبلغه

المياه قبلها ، ومكّن حدود القناة ، فارتوت منها بلاد كثيرة ، وجعلت الهضاب المرتفعة بحيرات ، وصار النيل يغمر الجزائر ، وأصبحت الأراضي الجذباء ذات خصب ورغد ، وكل الأراضي التي كانت في الماضي محرومة من الري النيل ، فأهلها ينسبون الفضل في سعادة حالهم وصفاء عيشهم الى الملك سيدي الأول الذي حفر قناة تمّ بها الاتصال من فرع النيل الثاني الى بوابستيس بالبحيرات المرة ووادي طيبة . وأهم القنوات التي تمر بقرب قبطوس ذكرت في قصة ساتني سخايس

وكان البحر اليوسفي في الحقيقة فرعاً للنيل في الجهة الغربية يبتدىء من أسيوط وينتهي الى الدلتا

وقد أتمّ الملك نخاو الثاني ابن الملك بسامتيك مشروعات كثيرة في الري ، ووضع مشروعاً جليلاً لإنشاء قناة تصل البحرين ، ولكن هذا المشروع لم يتم في أيامه والذي وفق لإنجازه هو الملك داريس الفارسي ، وقد نقش اسمه في شاهد شالوف بالفارسية ونصه كالآتي « أمرت بحفر هذه القناة تبتدىء بالنيل من مصر الى البحر الأحمر

وذكر هيردوت ان الفين البولبستيكي والبيكوليكي لم يكونا طبيعيين ، ولا بد أن تكون يد الانسان العاملة في العمران قد خطتهما ، فان الفراعنة أنشأوا قنوات كثيرة للبلاد ليسهل على أهلها الانتفاع بالمياه الوفرة لرى الأراضي وكافة الاحتياجات البشرية . واقتنى اليونان والرومان آثار الفراعنة في إصلاحات الري ، وكانوا يمتنون بتطهير الترع من رواسب الرمال والحجارة . وأول من افترض على الأهالي القيام بهذه التطهيرات هو أكتاف

أغسطت (Octave Auguste) ، وكان يراعى تقسيم الأعمال بينهم بمراعاة قرب أهالى كل جهة من القسم الذى يكفون بتطهيره .

وفى الأوراق البردية ومن بينها ورقتا باريز وبرلين ان الملك بطليموس فيلادلف وافرجت الثانى ايفان وتراجان وجستنيان كانوا يعتنون سنويًا بتطهير الترع وتقوية الجسور ، ويكلفون مراقبين فنيين بدوام المرور عليها ، وإيضاح ما يحتاج علاجًا ، فيبادر لا تحاذه ولو قبل المواعيد المعتادة فى الميزانيات السنوية وجداولها

وروى أنه فى السنة الثانية (سنة ١٩٨ ق . م) من حكم الملك افرجت الثانى بلغت شدة الفيضان درجة قصوى ، أغرقت كثيراً من الأودية والصحارى ، فقام الملك بنفسه للاشراف على الأعمال المتخذة لتخفيف المضار والعناية بتقوية جسور النيل وسياج الترع وتجديد المصارف بين المسافات ، حتى أوقف طغيان المياه ، واطمأن باله بنجاة البلاد من الخطر



زيادة النيل وتقصانه وأطواره

في عهد العرب^(١)

نقلًا عن كتاب « تقويم النيل » لحضرة العلامة الجليل أمين باشا ساسي

	التاريخ	
	هـ	ق
وصل النيل في نهاية الفيضان الى ١٢ ذراعا و ١٦ أصبعا	١٥٢	٧٦٩
غار نيل مصر ولم يبق منه شيء فغلت الأسعار بسبب ذلك	٢٧٨	٨٩١
غلق النيل ١٦ ذراعا	٢٤٩	٨٦٣
وصل النيل الى ١٤ ذراعا و ١٦ أصبعا	٣٣٣	٩٤٤
قصر النيل فوق البلاء والغلاء	٣٤٢	٩٥٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وهبط	٣٥١	٩٦٢
« » « ١٥ » و ٤ أصابع وهبط سريعا فوق الغلاء تسع سنين متوالية	٣٥٢	٩٦٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وأصبعين	٣٥٣	٩٦٤
وصل النيل الى ١٦ ذراعا ولم يفلقها وهبط سريعا	٣٥٤	٩٦٥
« » « ١٤ ذراعا وأصابع وهبط سريعا	٣٥٥	٩٦٦
« » « ١٢ ذراعا وأصبعا فالستمر الغلاء الى سنة ٣٦٠ فلما دخلت سنة ٣٦١ حصل الوفاء وأخصبت الأرض وتحسنت الأسعار	٣٥٦	٩٦٧
أوفى النيل الوفاء التام وأخصبت الأراضي بالزرع	٣٦١	٩٧٢
قصر النيل عن الوفاء فوق الغلاء	٣٨٧	٩٩٧
وصلت الزيادة الى ١٦ ذراعا وأصابع فروى بعض الأراضى	٣٩٥	١٠٠٥
وصلت الزيادة الى ١٣ ذراعا فاستسقى الناس مرتين	٣٩٧	١٠٠٦
وصلت الزيادة الى ١٤ ذراعا وهبط سريعا فوق الغلاء	٣٩٨	١٠٠٧
فتح الخليج في ١٥ توت والماء على ١٦ ذراعا ثم نقص فوق الغلاء بمصر	٣٩٩	١٠٠٨
نقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر	٤٢٢	١٠٣١
قصر النيل عن الزيادة ووقع الغلاء بمصر	٤٤٤	١٠٥٢
« » « » « » « »	٤٥٧	١٠٥٥
انقطع ماء النيل فعمّ الوباء والتحط	٤٤٨	١٠٥٦

(١) وأما السنون الغير مذكورة هنا فهي سنو خصب فلذا ضربنا صفحا عنها

	٥	٢
وقع الغلاء العظيم بمصر واستمر سبع سنين يزيد في الأول الى ١٢ ذراعا ثم ينقص وكانت القاعدة ٣ أذرع و ١١ أصبعا	٤٥١	١٠٥٩
نقص النيل في هذه السنة والتي بعدها فكان الغلاء العظيم الذي لم يسمع بمثله من عهد يوسف واشتد القحط والوباء سبع سنين وكان مقدار النيل ١٦ ذراعا وأصبعا	٤٦٠	١٠٦٨
فتح الخليج يوم ١٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا وتقص في ١٣ بابه	٤٦٦	١٠٧٣
فتح الخليج يوم ٢٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا	٤٧٠	١٠٧٧
فتح الخليج يوم ٢٠ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا	٤٧١	١٠٧٨
» » » ٥ توت » » ١٥ » » ١٥ » » ١٥ » » ١٨ » »	٤٧٢	١٠٧٩
» » » ٢٥ مسرى » » ١٥ » » ١٥ » » ١٨ » »	٤٧٣	١٠٨٠
بلغ الماء في ٢٥ توت ١٤ ذراعا ولكن كانت نهاية الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ١٠ أصابع	٤٧٤	١٠٨١
فتح الخليج في ٢ النسيء وتقص في ٩ بابه	٤٧٥	١٠٨٢
فتح الخليج في ٢٤ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا	٤٧٦	١٠٨٣
تقص في ٤ بابه	٤٧٧	١٠٨٤
هلك الزرع والغلات والمخازن من كثرة الماء	٤٨٠	١٠٨٧
انتهت الزيادة الى ١١ ذراعا وأصبعا ثم هبط سريعا	٤٨١	١٠٨٨
انتهت الزيادة الى ١٦ ذراعا ثم هبط ووقع الغلاء بمصر	٤٨٤	١١٩١
كان الوفاء على ١٦ ذراعا و ١١ أصبعا ثم نقص ولم يثبت فوق الغلاء	٥١٧	١١٢٣
كان النيل عاليا	٥١٨	١١٢٤
عظمت زيادة النيل وبلغ ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا فسقطت الجدران	٥٤٤	١١٤٩
وغرقت البساتين وفارت الآبار	٥٥٩	١١٦٤
فتح الخليج في ٢٠ رمضان	٥٧٢	١١٧٦
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا	٥٧٦	١١٨٠
هبط النيل بدرجة لم يمهدها حصولها إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين	٥٧٧	١١٨١
واشتد الوباء ومات نحو ثلاثة أرباع أهل البلاد وكان وفاة النيل في ١٦ مسرى من هذه السنة		
فتح الخليج في ٤ ربيع الثاني والماء على ١٦ ذراعا و ١٥ أصبعا	٥٧٧	١١٨١
وقال الناس سنة سبع افترست أسباب الحياة		
بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا وهذا الحد كان يسمى وقتها اللجة الكبرى فسقطت الجدران وغرقت البساتين	٥٧٨	١١٨٢

	٨	٩
عظمت زيادة النيل والجزء الثامن من المذكرات نقلا عن المقرري في الخطط وهذا من النوادر الغريبة التي لم يسمع بمثناها قط	٥٧٩	١١٨٣
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا إلا ثلاث أصابع ووقف فكسر السد ووقع الغلاء بمصر	٥٨٠	١١٨٤
لم يزد النيل إلا زيادة يسيرة وهبط من غير وفاء فوقع الغلاء وعدمت الأقوات من مصر واستمر الحال على ذلك ثلاث سنين متوالية فأت من شدة الغلاء الثلث	٥٨٧	١١٩١
كسر الخليج والماء على ١٣ ذراعا إلا ثلاث أصابع وشرقت الاراضى وعم الغلاء والبلاء	٥٩٦	١٢٠٠
توقف النيل عن الزيادة في هذه السنة لغاية ٦ توت ولم يبلغ إلا ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهبط من يومه . فتحدث بمصر حوادث من جهة القحط والفاء والموت والمهاجرة ما لم يسبق له مثيل في القحوط السابقة وقال المهاد السكاتب في وصف حوادث هذه السنة اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحدثت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوى فكيف الضعيف	٥٩٧	١٢٠١
زاد النيل زيادة كثيرة ورخصت الأسعار	٥٩٩	١٢٠٣
جاء في ابن اياس ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوقع الغلاء وكان في قاع النيل ذراعين	٦٢٧	١٢٣٠
بلغ النيل بعد توقف كبير ١٦ ذراعا و ٣ أصابع وكان غلاء شديد ووصل القمح خمسة دنانير وجاء في ابن اياس أن نهاية الفيضان كانت ١٦ ذراعا فقط	٦٢٨	١٢٣١
بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وطال مكته الى آخر هاتور غاف الناس عدم هبوطه	٦٢٩	١٢٣٢
ولم يقع مثله	٦٣٧	١٢٤٠
شح النيل ولم يثبت فوقع الغلاء	٦٦١	١٢٦٣
أوفى النيل أول أيام النسيء	٦٧٢	١٢٧٣
بلغ النيل ١٥ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوقع الغلاء	٦٩٣	١٢٩٤
بلغت زيادة النيل ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا ثم هبط وحصل بديار مصر غلاء شديد	٦٩٤	١٢٩٥
بلغت زيادة النيل الى أول توت ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا ثم نقص ولم يوف	٦٩٦	١٢٩٧
أوفى بعد توقف	٦٩٧	١٢٩٨

	٥	٦
(حسن المحاضرة وكوكب الروضة)	٦٩٩	١٢٩٩
قال ابن حجلة قد زاد النيل حتى غرق البلاد ووقع البلاء وعم البلاء	٧٠٢	١٣٠٣
أوفى بعد توقف وانتهت الزيادة الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت	٧٠٤	١٣٠٤
البلاد ووقع الغلاء		
(حسن المحاضرة)	٧٠٥	١٣٠٥
توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته في ٢٧ توت	٧٠٩	١٣٠٩
الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت البلاد ووقع الغلاء وفي ١٧ بابه		
نقص جملة واحدة		
(ابن اياس وكوكب الروضة)	٧١٣	١٣١٣
وكان الماء على $\frac{1}{4}$ ١٦ ذراعا وجاء في كوكب الروضة أن فتح الخليج	٧١٧	١٣١٧
كان ثاني يوم من النقص ثم زاد زيادة عظيمة		
(النجوم الزاهرة)	٧٢١	١٣٢١
(« »)	٧٢٢	١٣٢٢
(« »)	٧٢٥	١٣٢٥
قال ابن المتوج : ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع بعد توقف	٧٢٧	١٣٢٧
عظيم ووصل القمح خمسة دنانير (الاردب) وذكر المقرئ		
انه بلغ ١٣ ذراعا و ١٣ أصبعا وان مقدار التحاريق كان ذراعاين		
كانت زيادة النيل ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وتأخر نزوله حتى خاف	٧٢٩	١٣٢٩
الناس عدم هبوطه		
جاء في كنز الدرر ان الوفاء كان في ٢٠ مسرى وفتح الخليج في	٧٣١	١٣٣١
يومها والماء على ١٦ ذراعا		
(النجوم الزاهرة)	٧٣٦	١٣٣٥
(« »)	٧٣٨	١٣٣٧
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع ثم هبط سريعا فشرقت الأرض	٧٣٩	١٣٣٨
ووقع الغلاء وذكر كوكب الروضة أصابع		
تأخر النيل في بلوغه درجة الفيضان	٧٤٠	١٣٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ١٥ أصبعا ففرقت البساتين وانقطعت	٧٤٤	١٣٤٣
الطرق والجسور		
كان التحاريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحاريق	٧٤٧	١٣٤٦
كان ٥ أذرع		
كان التحاريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحاريق كان	٧٤٩	١٣٤٨
٤ أذرع و ٢٠ أصبعا		

بلغ النيل ١٧ ذراعا وهبط في ٥ توت فشرقت بلاد كثيرة ووقع الغلاء وتوالى الشراق ثلاث سنين فشق الأمر على الناس سنة شراق	٧٥١	١٣٥٠
» »	٧٥٢	١٣٥١
ثبت الى أول هاتور فدعا الناس بهبوطه وبلغ ١٩ ذراعا و ٤ أصابع قال المقرئى : كان النيل مما يتعجب منه فان القاعدة كانت ١٢ ذراعا. وبلغ ١٩ ذراعا و ٩ أصبع وأبطل النداء عليه حتى بلغ ٢٤ ذراعا وخرّب عدة مساكن وثبت الى آخر بابه فدعوا الله بهبوطه	٧٦٠	١٣٥٩
توقف النيل ولم يوف إلا في ٣ توت وبلغ ١٧ ذراعا و ٤ أصابع . ثم هبط سريعا ووقع الغلاء	٧٦٤	١٣٦٣
طال مكث النيل فدعوا الله بهبوطه واستمر في ثبات الى آخر هاتور وفات أوان الزراعة وجاء في كوكب الروضة أنه كان ٢٠ ذراعا وأصابع . وفي النجوم الزاهرة ١٨ ذراعا و ٤ أصابع توقف النيل عن الزيادة وكسر السد بعد النيروز بنقص ٥ أصابع عن الوفاء ثم هبط من يومه فاضطربت الأحوال	٧٧٣	١٣٧١
كان النيل عاليا واستمر حتى دعا الناس بهبوطه . قال المقرئى : انتهت زيادة النيل الى ٢٠ ذراعا و ٣ أصابع فهد ذلك طوفاناً . وكتب الصاحب نضر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن مكائس الى البدريشتكى رسالة في ذلك قال في مطلعها : رب إجعلنا في هذا الطوفان من الآمنين وسلام على نوح في العالمين	٧٧٥	١٣٧٣
مع علو النيل مكث طويلا ففرقت . واضع وتهدمت دور . وذكر ابن اياس مقدار النيل وهو ٢٠ ذراعا و ٥ أصابع	٧٨٥	١٣٨٣
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ١٨ أصبعا وثبت الى تسع بابه فهد ذلك من النوادر	٧٩١	١٣٨٩
ثبت الى آخر بابه فكان طوفاناً . وقال كوكب الروضة رابع بابه . وقال : أن الوفاء كان في ثالث مسرى وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٢٠ أصبعا	٧٩٣	١٣٩١
بلغ ١٩ ذراعا و ٨ أصابع وثبت الى رابع بابه فكان طوفاناً (الجزء الثامن من المذكرات)	٧٩٧	١٣٩٥
توقف النيل وكسر السد في أول توت مع نقص أربع أصابع على الوفاء ووقع الغلاء وجاء في النجوم الزاهرة أن النيل أوفى خامس توت .	٧٩٩	١٣٩٧
	٨٠٦	١٤٠٣

	١	٢
احترق النيل احترقا شديدا	٨٠٧	١٤٠٤
(الجزء الثامن من المذكرات)	٨٠٨	١٤٠٥
أوفى النيل وفتح الخليج في أول يوم من مسرى . وقال ابن اياس : أنه بلغ ٢٢ ذراعا وأصبعا وثبت الى نصف هاتور فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الزائد وغرق أكثر البلاد . وقال المقرئى أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب .	٨١٢	١٤٠٩
(ابن اياس) .	٨١٥	١٤١٢
(») .	٨١٦	١٤١٣
(») .	٨١٨	١٤١٥
(») .	٨١٩	١٤١٦
توقف النيل عن الزيادة واستقرى الناس وجاء في ابن اياس أنه أوفى وكان نيلا شحيحا ولم يثبت روى نصف البلاد ووقع الشراق والغلاء .	٨٢٣	١٤٢٠
وبلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ٢٠ أصعما	٨٢٤	١٤٢١
انتهت الزيادة الى ٣٠ ذراعا وأصبعا وثبت الى نصف هاتور فحصل ضرر عظيم من عدم هبوطه وتعذر الزرع لفوات أوانه . وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب .	٨٢٥	١٤٢٢
(ابن اياس)	٨٢٦	١٤٢٣
(»)	٨٢٧	١٤٢٤
(»)	٨٢٨	١٤٢٥
انتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا وأصبعين ثم نقص بعد ذلك ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلاء	٨٣٠	١٤٢٦
(ابن اياس)	٨٣١	١٤٢٧
وهبط سريعا فشرق غالب البلاد ووقع الغلاء	٨٣٢	١٤٢٨
(ابن اياس)	٨٣٣	١٤٢٩
وجاء في كوكب الروضة أنه أوفى في ٢٩ أبيب .	٨٣٤	١٤٣٠
أوفى النيل في هذه السنة مرتين	٨٣٧	١٤٣٣
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ١٠ أصابع	٨٤٣	١٤٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ٣١ أصعما	٨٤٤	١٤٤٠
أن النيل زاد زيادة مفرطة في رابع بؤونة ففرقت الأمكنة وحصل الضرر ووصل النيل في غير أوانه ١٩ ذراعا و ٢٠ أصعما واستمرت الزيادة عمالة حتى أوفى في ٢٧ أبيب .	٨٤٥	١٤٤١

	١	٢
توقف النيل عن الوفاء أياماً	٨٥٣	١٤٤٩
خس النيل وكسر الخليج وقد بقي ثمانى أصابع من الوفاء وحصل غلاء شديد وجاء في كوكب الروضة لم يوف النيل وكسر الخليج وبق على الوفاء أصعب فهبط وشرقت الأراضي ووقع الغلاء أوفى بعد توقف واستسقاء	٨٥٤	١٤٥٠
أوفى بعد توقف واستسقاء	٨٦٦	١٤٦٢
أوفى بعد توقف واستسقاء : أن الوفاء كان في غاية ذى الحجة سنة ٨٧٠ الموافق ٢٠ مسرى . وكل التقاويم اجتمعت على أن ٢٠ مسرى يطابق غرة المحرم سنة ٨٧١	٨٧١	١٤٦٦
أوفى بعد توقف وهبط سريعاً أثناء توت وتزايد الغلاء	٨٧٣	١٤٦٨
فتح السد أول يوم من مسرى وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعاً و ٢١ أصباً في أواخر بابه فغرقت الأراضي والطرق وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب .	٨٨٢	١٤٧٧
وفتح السد في غاية أبيب	٨٨٣	١٤٧٨
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعاً و ٣٣ أصباً وهبط بسرعة في أواخر مسرى فاشتد الغلاء	٨٨٤	١٤٧٩
انتهت الزيادة الى ١٧ ذراعاً فاشتد الغلاء	٨٨٩	١٤٨٤
وفي كوكب الروضة الوفاء في ٥ مسرى وكسر السد في ٦ منه .	٨٩٠	١٤٨٥
الموافق ليلة عيد الفطر وكسر السد ثانياً شوال	٨٩٤	١٤٨٩
وسارت بالبشرى في البلاد رسائل .	٨٩٦	١٤٩١
أوفى بعد توقف وفتح الخليج يوم ٢٨ فكان الوفاء متأخراً نحو ٢٠ يوماً ولم يم سوى أيام ثم هبط سريعاً فشرقت الأراضي وارتفعت الاسعار	٨٩٧	١٤٩٢
أوفى بعد توقف وفتح الخليج يوم ٢٨ فكان الوفاء متأخراً نحو ٢٠ يوماً ولم يم سوى أيام ثم هبط سريعاً فشرقت الأراضي وارتفعت الاسعار	٩٠٢	١٤٩٦
أوفى النيل في هذه السنة مرتين الأولى في ٢٩ مسرى والثانية في ٢٠ الحجة واستمر النيل في الثانية في ثبات الى أواخر بابه	٩٠٤	١٤٩٨
وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعاً و ١٧ أصباً وثبت الى نصف بابه .	٩٠٦	١٥٠٠
فتح السد في ٩ مسرى	٩٠٧	١٥٠١
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعاً و ٢١ أصباً وكان نيلا شحيحاً	٩٠٨	١٥٠٢
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعاً و ١٣ أصباً وثبت الى عشرين توت	٩٠٩	١٥٠٣
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعاً واصبعين وهبط سريعاً	٩١١	١٥٠٥
وثبت على ١٩ ذراعاً و ٥ اصابع الى عشرين بابه	٩١٣	١٥٠٧
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعاً و ٢٢ أصباً وثبت الى آخر بابه	٩١٤	١٥٠٨
وانتهت الزيادة الى ١٧ ذراعاً و ٢١ أصباً وثبت الى آخر توت	٩١٥	١٥٠٩

	١	٢
وثبت على ١٩ ذراعا و ٩ اصابع الى ١٧ توت	٩١٦	١٥١٠
وفتح السد في اليوم الذي يليه وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا واصبعا	٩١٧	١٥١١
وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٤ اصابع	٩١٨	١٥١٢
وفتح السد في سادس مسرى	٩٢٠	١٥١٤
وثبت على ٢٠ ذراعا و ١٦ اصبعا في اوائل هاتور وحصل به غاية النفع	٩٢١	١٥١٥
وفتح السد في ٦ مسرى		
وثبت على ١٩ ذراعا	٩٢٢	١٥١٦
سنة خصب حيث زاد النيل فيها زيادة كثيرة .	٩٧٩	١٥٧١
زاد النيل زيادة عظيمة قريبا من ٢٣ ذراعا ثم بعد نزوله زاد زيادة أخرى عظيمة وتلف بعض الزرع واستمر الخليج يجرى بالقاهرة فوق ١٠٠ يوم وحصل بسبب ذلك غلاء عظيم	١٠٣٩	١٦٢٢
بلغت الزيادة ١٥ ذراعا وهبط فوق الغلاء والقحط	١٠٥١	١٦٤١
قصر النيل وهبط بسرعة فشرقت الاراضي ووقع الغلاء	١١٠٦	١٦٩٤
توقف النيل فاستسقوا وزاد في ١١ توت حتى بلغ ١٧ ذراعا فروى بعض البلاد وهبط سريعا فاشتد الغلاء	١١١٦	١٧٠٤
قصر النيل في هذه السنة وغلت الأسعار في السنة التي بعدها	١١٣٤	١٧٢٢
زاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرقات واستمر الى آخر توت	١١٩٢	١٧٧٨
قصر النيل وهبط قبل الصليب بسرعة فشرقت البلاد القبلية والبحرية وغلت الأسعار حتى بلغ سعر القمح ١٠ ريال (الاردب) واشتد جوع الفقراء	١١٩٧	١٧٨٣
قصر النيل فكانت شدة الغلاء كالسنة التي قبلها .	١١٩٨	١٧٨٤
في المحرم من هذه السنة هبط النيل مرة واحدة فشرقت الاراضي ولم يرو منها إلا القليل فاشتد الغلاء	١٢٠٦	١٧٩٢
هبط النيل قبل الصليب بعشرة ايام وذلك بعد الوفاء الذي حصل في السنة التي قبلها وكان ناقصا عن ميعاد الري نحو ذراعين فقلت الأسعار حتى بلغ ثمن الاردب من القمح ١٨ ريالا وأكلت الناس الميتة من الخيل والحمير والاطفال	١٢٠٧	١٧٩٢
بلغ النيل الزيادة المتوسطة وثبت الى اول بابه وشمل الماء غالب الاراضي بسبب التفات الناس الى سد المجارى وحفر الترعة واصلاح الجسور	١٢٠٨	١٧٩٣
فتح الخليج يوم ٢٤ اغسطس	١٢١٤	١٧٩٩
فتح الخليج في ١٧ اغسطس وزاد النيل زيادة مفرطة حتى غرقت البلاد وتقطعت الطرق ومكث زائدا الى آخر توت	١٢١٥	١٨٠٠

	التاريخ	
	٨	٢
وكسر السد في ٧ منه	١٢١٧	١٨٠٢
وكسر الخليج صباحها وهو على ١٧ ذراعا وتقص ماء النيل في ايام النسي تقصا فاحشا والمخدر من على الارض فعلت الاسعار وقامت الناس شدائد	١٢١٨	١٨٠٣
اوفي النيل ١٧ ذراعا وكسر الخليج في صبح يوم السبت	١٢١٩	١٨٠٤
فتح الخليج يوم الخميس ٩ مسرى . ويقال انه فتح قبل الوفاء	١٢٢١	١٨٠٦
فتح الخليج يوم السبت ٧ مسرى وكان ضعيفا وهاف الزرع	١٢٢٢	١٨٠٧
ما وفي النيل إلا بعد ان استقى الناس	١٢٢٣	١٨٠٨
اوفي وزاد زيادة مفرطة وتلف بلوه الدراوى والاقصاب بالوجه القبلى والارزوالقطن	١٢٢٤	١٨٠٩
اوفي النيل بعد توقف طال زمنه واستسقى الناس في رابع شعبان ثم زاد النيل وثبت الى آخر توت واطمان الناس	١٢٢٥	١٨١٠
وفتح الخليج ثامن مسرى	١٢٢٦	١٨١١
ولم يحصل وفاء في آخر ابيب إلا مرة واحدة في سنة ١٢٨٣ وبينها وبين هذه السنة سنة ٤٧	١٢٣٠	١٨١٥
وفتح السد في ٥ منه	١٢٣١	١٨١٦
جاء النيل مبكراً في نصف بؤونه	١٢٣٢	١٨١٧
كانت زيادة النيل مفرطة لم يسمع بمثلها وأغرق كثيرا من الزرع الصيفية وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق كثير من الناس والحيوان وعلا الماء على جزيرة الروضة حتى صارت السفن تسير فوقها .	١٢٣٣	١٨١٨
كانت زيادة النيل مفرطة اكثر من العام الماضى واستمر عاليا الى منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعة	١٢٣٤	١٨١٩
فتح السد رابع مسرى . وكانت زيادة النيل مفرطة وأغرقت الزرع والأماكن	١٢٣٥	١٨٢٠
لم يستتم النيل أذرع الوفاء الى ١٨ مسرى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون	١٣٣٦	١٨٢١
وقد بلغ النيل ١٦ ذراعا و٧ أصابع وكانت نهاية النيل ٢٣ ذراعا وأصبعين	١٥٦٣	١٨٢٧
وكان الماء على ١٦ ذراعا وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و٦ أصابع	١٢٦٤	١٨٤٨
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٨ أصابع وفي اليوم الذى بعده ١٦ ذراعا و ٨ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا و ١٣ أصبعا وهبط مبكراً .	١٢٩٠	١٨٧٣

	١٢٩١	١٨٧٤
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وبلغ في نهاية الفيضان ٢٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وحصل غرق تسبب عنه كسر قنطرة الشراوية وقطع السكة الحديدية التي هي بين بولاق الدكرور والمنيا واستمر الماء ١١٥ يوماً ولولا العناية التي بذلت من الحكومة وسنها قوانين صارمة لنشأ عن الفرق مضرات لا يمكن حصرها. وقد جمع الاجانب مبالغ بقصد عمل تمثال للمفقور له الخديوى اسماعيل باشا في مقابلة العناية التي بذلتها ولكنه فضل انشاء مدرسة مجانية أنشئت في الاسكندرية بدلا من اقامة التمثال وهي باقية للان		
والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهو أزيد من الوفاء بثلاث عشر قيراطاً وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ٢٢ أصبعا	١٢٩٢	١٨٧٥
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قراريط . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٣ أصبعا .	١٢٩٣	١٨٧٦
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء ولم يبلغ النيل إلا ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وهبط سريعا لحصل شراق ترتب عليه ترك نصف مال الوجه البحرى ومعظم مال الوجه القبلى حتى بلغ قيمة المتروك من المال ١,٢٠٠,٠٠٠ جنهما عن ١,٣٠٠,٠٠٠ فداناً وقد بلغ ثمن الأردب القمح ثلاثة جنيهات والذرة جنيهين واكل بعضهم الحشائش لسد الرمق ومات بعضهم وكثرت وقائع القتل والسلب والنهب	١٢٩٤	١٨٧٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٥ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراطين . وكانت نهاية الفيضان ٢٦ ذراعا و ٦ أصابع ومكث الماء في علو ١٠٤ أيام	١٢٩٥	١٨٧٨
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من المقدار المقرر للوفاء بثلاثة قراريط. وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و ١١ أصبعا	١٢٩٦	١٨٧٩
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قراريط . وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ١٧ أصبعا وهبط سريعا حيث لم يمكث سوى ٥٩ يوماً .	١٢٩٧	١٨٨٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط واحد . وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ٩ أصابع ولم يمكث سوى ٥٩ يوماً .	١٢٩٨	١٨٨١
والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا وأصبعا .	١٣٠٠	١٨٨٣

التاريخ	
١	٢
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١١ أصبعا	١٣٠١ ١٨٨٤
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بمحبر الخليج في غاية أيبب موافق ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٥ والنيل يومها ١٧ ذراعا و ١٨ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١٨ أصبعا	١٣٠٢ ١٨٨٥
والماء على ١٥ ذراعا و ١٣ أصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع وقطع الخليج في ١٧ أغسطس سنة ١٨٨٦ والماء على ١٨ ذراعا و ١٦ أصبعا وبلغ في النهاية ٢٢ ذراعا و ٧ أصابع	١٣٠٣ ١٨٨٦
والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا بزيادة ١٣ قيراطا عن الوفاء وجبر الخليج أول مسرى سنة ١٦٠٣ والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٤ أصبعا ولم يصل لهذا المقدار الا في فترة صغيرة فتخلف كثير من الأراضي بدون ري بلغ مقدارها ٢٧٩٦٠٠ فدان ودفع مالها البالغ قدره ٣٤٢٥٣٧ جنيا فقرر مجلس النظارة في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ قيام نظارة الاشغال باجراء تخفيف ويلات الشراقي وبلغها ذلك في ١٩ نوفمبر من تلك السنة	١٣٠٤ ١٨٨٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا . وقطع الخليج في ٦ مسرى سنة ١٦٠٥ وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢١ أصبعا	١٣٠٦ ١٨٨٩
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط . وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٣ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٤ أصبعا	١٣٠٧ ١٨٩٠
خلت سنة ١٣٠٨ من وفاء النيل	١٣٠٨
والماء على ١٥ ذراعا و ١١ اصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ٥ اصابع . وقطع الخليج في ٩ مسرى سنة ١٦٠٧ والماء على ١٧ ذراعا و ١٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٠ اصبعا وتخلف ٧٨٣٠ فدان بدون ري ورفع مالها وقدره ٦٥٢٢ جنيا .	١٣٠٩ ١٨٩١
والماء على ١٥ ذراعا و ٨ اصابع وهو ازيد بخمس قيراط عن الوفاء وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٥ ذراعا واصبعين .	١٣١٠ ١٨٩٢

	١٩٠٢	١٣٢٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط واحد وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٢ اصبعا وتختلف بسبب انحطاط النيل نحو ١١٩٣٧٢ فدانا بدون رى ورفع مالها وقدره ١٠٨٠٢٤ جنيها من ميزانية السنة التي بعدها .	١٩٠٢	١٣٢٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ اصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قراريط . واحتفل بوفاء النيل في ٣٧ اغسطس والماء على ١٨ ذراعا و ١٨ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٩ اصابع .	١٩٠٣	١٣٢١
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو زائد قيراط عن الوفاء . واحتفل بالوفاء في ٢٧ اغسطس والماء على ١٨ ذراعا و ٨ اصابع . وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا واصبعين وانصرف مبكراً ولم يروى من الوجه القبلى ماروى إلا بسبب اقفال قناطر اسيوط التي تم انشاؤها سنتها .	١٩٠٤	١٣٢٢
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وفيه ٦ اصابع زيادة عن الوفاء . وفيه احتفل بالوفاء . وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا واصبعين وكان الأمر كالعام الماضي .	١٩٠٥	١٣٢٣
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل في ٢٥ اغسطس بالوفاء . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٨ اصابع	١٩٠٦	١٣٢٤
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء في اليوم الذي قبله . وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٢ اصبعا ومع كون النيل منحطاً انصرف مبكراً .	١٩٠٧	١٣٢٥
والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد من الوفاء باربعة قراريط . واحتفل بالوفاء في ٢٢ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و ٤ اصابع .	١٩٠٨	١٣٢٦
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل برفاء النيل في ٢١ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٦ اصبعا .	١٩٠٩	١٣٢٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وفيه ٦ قراريط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء في ٢٥ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٠ اصابع .	١٩١٠	١٣٢٨
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء واحتفل بالوفاء في ٢٣ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٤ اصابع	١٩١١	١٣٢٩

التاريخ	
هـ	م
١٣٣٠	١٩١٢
والماء على ١٥ ذراعا و٧ اصابع وهو أزيد باربعة قراريط عن الوفاء . واحتفل بالوفاء في ١٩ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٣٠ ذراعا و ٨ اصابع .	
١٣٣١	١٩١٣
والماء على ١٥ ذراعا و٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . ولكن احتفل بوفاء النيل في هذه السنة في ٤ سبتمبر والماء على ١٤ ذراعا و١٣ قيراطا ووقع على محضر الوفاء حضرات أصحاب السعادة حسين باشا واصف مفتش رى الجزيرة وامين بك واصف مدير الجزيرة حينذاك بان هذا المقدار وان كان أقل من ١٥ ذراعا و٣ اصابع إلا انه بالنسبة للظلمات الحديثة يكفي للوفاء . وكانت نهاية الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ٦ اصابع وانه لولا اتمام عملية الخران في تلك السنة ما تيسر رى ما روى من اراضى القطر مطلقا والماء على ١٥ ذراعا و٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بوفاء النيل في ٢٧ اغسطس سنة ١٩١٤ وكانت منتهى الزيادة ٣١ ذراعا و ١٠ اصابع .	
١٣٣٢	١٩١٤



تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليرى بباريز
Le Nil personnifié. Statue du jardin des Tuileries

نتائج زيادة النيل ونقصانه

في عهد العرب

لما فقدت مصر استقلالها قبل ألفي سنة تهاون ولاة الأمور الأجانب في شؤون البلاد، حتى أهملوا نظام الري، وتعطلت زراعة الأرض، ونضبت موارد المعيشة على الناس، فهاجروا وهجروا البلاد فصارت بدمهم اطلاقاً بالية وآثاراً خاوية، وأصبح كثير من الجهات حُفراً ومستنقعات. ولو كان في هذه العصور حكومة وطنية تهتم بالمصالح الحيوية لما تمادت على هذا الإهمال الذي أوقع البلاد في مهاوى الدمار والحراب

وكانت زيادة النيل في هذه العصور تهاجم المدن والقرى فتدمرها لعدم إقامة الجسور واختلال نظام الري الذي عليه مدار الحياة. ومن طبيعة الحكومة الوطنية أن تحافظ على نظامها المرتبط بحياة الأمة، ولكن من سوء حظ مصر أن توالت عليها إذ ذاك حكومات أجنبية مختلفة لم تهتم بمصلحة البلاد ولا بنظام شؤونها كما هي العادة قديماً وحديثاً في كل زمان ومكان وإذا نظرت إلى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

ومن المأثور عن نابليون بونابرت قوله « من علامة حسن الإدارة في البلاد أن ترى نظام الري معتدلاً والترع مطهرة والفيضان منفعلاً به في كل مكان، وان علامة ضعف الحكومة واختلال شئونها أن ترى الترع معطلة لعدم تطهيرها والجسور مهدمة ونظام الري فاسداً وقوانين توزيع المياه جائرة »
كم تحكمت في مصر حكومات أجنبية أثقلت عواتق الرعية بالضرائب الباهظة والغرامات الفادحة. فكنت ترى أفراد الهيئة الحاكمة من الوالى إلى الجندى البسيط، لاهمّ للجميع إلا جمع المال وإحراز الثروة وأوقعوا النهب

والسلب في المصريين وأذلوهم وأذاقوهم الأمرين حتى ستموا الحياة واضطروا
للثورات السياسية

وكان عبد اللطيف البغدادي^(١) طيباً ابن طيب ، زار مصر سنة ٥٩٧ هـ
وذكر ما حصل بها من البؤس والشقاء من جراء زيادة فيضان النيل في أرض
مصر فقال في كتابه « مختصر أخبار مصر » :

« إن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض ، وذلك في شمس السرطان
والأسد والسنبلة ، فيملو على الأرض ويقيم أياماً ، فإذا نزل عنها حرثت وزرعت
ثم يكثر النداء في الليل جداً ، وبه يتغذى الزرع الى أن يستحصد ، ونهاية ما
تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانية عشرة ذراعاً فان زاد على ذلك فانه يروى
أمكنة مستعلية »

وروى لنا ما رآه بعينه من الفظائع التي وقعت في مصر سنة ٥٩٧ هـ « دخلت
سنة سبع مقترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت
الأسعار وأقحطت البلاد وشمل أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع ،
وانضوى أهلى السواد كالريف إلى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام
والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا في البلاد أيادي سبا ومزقوا كل ممزق ،
ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم
الموت ، وعند نزول الشمس بالحمل وبرد الهواء ووقع المرض والموت واشتد
بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ، ثم
تعدوا ذلك الى أن اكلوا صفار بني آدم ، فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صفار
مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باجراق الفاعل لذلك والآكل

(١) عبد اللطيف البغدادي هو الامام موفق الدين أبو محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن
أبي سعيد ويعرف بابن اللباد موصل الاصل ببغدادى المولد ، زار مصر وأقام بها من سنة ٥٩٦ هـ
(١١٩٩ م) الى ما بعد سنة ٥٩٨ هـ (سنة ١٢٠١ م) وتوفى ببغداد سنة ٦٢٩ هـ
(٩ نوفمبر سنة ١٢٣١ م)

ورأيت صغيراً مشويًا في قفة وقد أحضر الى دار الولي ومعه رجل وامرأة
زعم الناس انهما ابواه فأمر باحراقهما

ووجد في رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه من اللحم ، فأكل
وبقي قفصاً كما يفعل الطباقون بالغنم . ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل
من آثر الاطلاع على علم التشريح وحين ما تشم الفقراء في اكل بني آدم كان
الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاساً لأمره وتجباً من نذوره
ثم اشتد اليه اضطرارهم بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتفتنوا
فيه وفشا عنهم ، ووجد بكل مكان من ديار مصر ، فسقط حينئذ التعجب
والاستشناع واستهجن الكلام فيه والسمع له . ولقد رأيت امرأة مشججة
يسحبها الرعاع في السوق ، وقد ظفر معها بصغير مشوي تأكل منه وأهل
السوق ذاهلون عنها ومقبولون على شئوونهم ، لم أرَ فيهم من يعجب لذلك
أو ينكره ، فعاد تعجبي منهم أشد وما ذلك إلا لكثرة تكرره على
احساسهم ، حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق أن يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشويًا ، وقد أخذ به شابان
أمرًا بقتله وشيه وأكل بعضه . وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب كان مع
جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير ، فينما هو الى جانبها انتهزت غفلتها عنه
صعلوكة ، فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نياً ، وحكيت لى عدة نساء أنه
يتوئب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورأيت مع امرأة فطياً لحياً فاستحسنته وأوصيتها بحفظه ، فحكيت لى
أنها بينا تمشى على الخليج اتقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها ، فترامت
على الولد نحو الأرض حتى أدركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهيمُ بكل
عضو يظهر منه أن يأكله وأن الولد بقي مدة مريضاً لشدة تجاذبه بين المرأة والمفترس

وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس ، مندسين في جميع أقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وإنما يعثر عليهم في الندرة وإذا لم يحسنوا التحفظ

وأكثر ما كان يقع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه إلا أن النساء أقل حيلة من الرجال ، وأضعف عن التباعد والاستتار : ولقد أحرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلثون امرأة كل منهن تقر أنها أكلت جماعة ، فرأيت امرأة قد أحضرت إلى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت أكثر من ٢٠٠ سوط على أن تقر فلا تحير جواباً ، بل تجدها قد انحلمت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت على مكان

وإذا أحرق آكل أصبح وقد صار ، أكلوا لأنه يعود شواء ويستغنى عن طبخه

ثم نشأ فيهم أكل بعضهم بعضاً حتى تفانى أكثرهم ، ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمسائير منهم من يفعله طاجة ومنهم من يفعله استطابة وحكى لنا رجل انه كان له صديق أدفع في هذه النازلة ، فدعا صديقه هذا إلى منزله ليأكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل . فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر ، وبين أيديهم طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز ، فراه ذلك وطلب المرحاض ، فصادف عنده خزانة مشحونة برم الآدى واللحم الطرى ، فارتاع وخرج فاراً . وظهر من هؤلاء الخبثاء من يتصيد الناس باصناف الحبايل ، ويحتلبونهم إلى مكانهم بأنواع المخاتل ، وقد جرى ذلك لثلاثة من الأطباء : أما أحدهم فإن أباه خرج فلم يرجع ، وأما الآخر فإن امرأة اعطته درهمين على أن يصحبها إلى مريضها ، فلما توغلت به

مضايق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت درهميها وانسلت ،
وأما الثالث فان رجلاً استصحبه الى مريضه في الشارع يزعمه وجعل في اثناء
الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتم الثواب ويتضاعف الأجر ولمثل
هذا فليعمل العاملون ، ثم كثر حتى ارتاب منه الطيب ومع ذلك فحسن
الظن يغلبه وقوة الطبع تجذبه حتى أدخله داراً خربة فزاد استشعاره وتوقف
في الدرج

وسبق الرجل فاستفتح نخرج اليه رفيقه يقول له هل مع ابطائك حصل
صيد ينفع نخرج الطيب لما سمع ذلك ، وألقى نفسه الى اصطبل من طاقة
صادفها لسعادته ، فقام اليه صاحب الأصطبل يسأله عن قضيته فأخفاها عنه
خوفاً منه أيضاً ، فقال له قد عامت حالك فان أهل هذا المنزل يذبجون
الناس بالختل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي ملاة بلحم الآدمي وعليه الماء
والملاح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجذب أن
يهزل الناس

وكان جماعة من الفقراء قد آووا الى الجزيرة وتستروا بيوت طين
يتصيدون فيها الناس ، ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ، ووجد في بيوتهم من
عظام بنى آدم شئ كثير ، وخبرني الثقة أن الذي وجد في بيوتهم أربعمئة جمجمة
ومما شاع وسمع من لفظ الوالى أن امرأة أتته سافرة مذعورة ، تذكر
أنها قابلة وان قوماً استدعواها وقدموا لها صحناً فيه مكياج محكم الصنعة مكمل
التوابل فألقته كثير اللحم مباناً للحم المهود ، فتقرزت منه ثم وجدت خلوة
بينت صغيرة فسألته عن اللحم فقالت أن فلانة السمينة دخلت لتزورها
فذبجها أبى وها هي معلقة إرباً ، فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أنابير

لحم فلما قصت على الوالى القصة ، أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها
وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه فى خفية بثلمائة دينار ليحقق
بذلك دمه .

ومن غريب ما حدث من ذلك أن امرأة من نساء الأجناد ذات مال
ويسار كانت حاملاً ، وزوجها غائب فى الخدمة ، وكان يجاورها صعايليك
فشمت عندهم رائحة طبيخ فطلبت منه كما من عادة الحبالى فألقته لذيذاً فاستزادتهم
فزعموا أنه نفذ فسألتهم عن كيفية عمله فأسروا اليها انه لحم بنى آدم فواطتهم
على أن يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء ، فلما تكرر ذلك منها وضريت
وغلبت عليها الطباع السبعية وشى بها جواربها خوفاً منها ، فهجم عليها فوجا
عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك فخبست مقيدة وأرجىء قتل
احتراماً لزوجها وابقاء على الولد فى جوفها

ولو أخذنا نقتص كل ما نرى ونسمع لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر ، وجميع
ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظانه ، وانما هو شىء صدفناه
اتفاقاً ، بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فانه يجد منه أصنافاً تحضر مع آناء الليل
والنهار ، وقد يوجد فى قدر واحدة اثنان وثلاثة وأكثر ، ووجد فى بعض الأيام
قدر فيها عشر أيدي كما تطبخ اكارع الغنم ، ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس
كبيرة وبعض الاطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تقوت الاحصاء
وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حباتهم
شيخ كتبي بدين ممن يتناعون الكتب فأقلت بجريمة الذوق
وكذلك بعض أقوام من جامع مصر وقع فى حباله قوم آخرين بالقرافة

فتداركه الناس نخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج عن أهله فلم يرجع اليهم نخلق كثير

وحكى لى من أثق به أنه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهي تأكل من انخازه فأنكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثيراً ما يدعى الآكل أن المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك . ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بأن قالت إنما هو ولد ابنتى وليس بأجنبي منى ، ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيرى ، واشباه هذا كثير جداً حتى أنك لا تجد احداً فى ديار مصر الأوقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

ومما شاع أيضاً نبش القبور واكل الموتى . ويبيع لحومهم وهذه البلية التى شرحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد إلا وقد اكل فيه الناس أكلاً ذريعاً من اسوان وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك ، وأعجب ما حكى لى أنه عاين روس خمسة صغار مطبوخة فى قدر واحدة بالتوابل الجيدة ، وهذا المقدار فى هذا الاقتصاص كان فانى وان كنت قد اسهبت اعتقد أنى قد قصرت ، وأما القتل والفتك فى النواحي فكثير فاش فى كل فج ، ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية . وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب ، فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلاهم وظفر الوالى منهم بجماعة فقتل بهم وأقر بعضهم عند ما أوجع ضرباً أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار . وأما موت الفقراء هزالاً وجوعاً فأمر لا يحيط علمه الا الله سبحانه

وتعالى ، وانما نذكر منه كالا نموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر
فالذى شاهدنا بمصر والقاهرة ، وما يليهما أن الماشى أين كان لا يزال
يقع قدمه أو بصره على ميت أو من هو فى السياق أو على جمع كثير بهذه
الحال ، وكان يرفع من القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى ٥٠٠
وأما مصر فليس لموتها عدد ويرمون ولا يوارون وأما من عجزوا عن رميهم
فبقوا فى الأسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها ، والميت منهم قد تقطع
والى جانبه الشواء والخباز ونحوه

وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الى ما شاء الله ، وبعضهم
انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى الكبار كقوص والأشمونين والمحلة
ونحو ذلك ، ومع هذا أيضاً فلم يبق فيها إلا تحلة القسم ، وأن المسافر لير
بالبلدة فلا يجد فيها نافع ضربة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقابلين
بعضهم قد ورم وبعضهم طرى وربما وجد فى البيت أناته وليس له من يأخذه
حدثنى ذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر ، قال
أحدم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيواناً فى الأرض ولا فى السماء فتدخلنا البيوت
فالفينا أهلها كما قال الله عز وجل جعلناهم حصيداً خامدين ، فنجد ساكن كل
دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا
أنه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها فى الخراب وأن
الحايك فى يرحيا كتته ميت وأهله موتى حوله ، فحضر لى قول الله تعالى
ان كانت الأصيحة واحدة فاذا هم خامدون . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه
كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموتى أهله . قال واحتجنا الى الإقامة
به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة
بدرم قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترع فى لحوم أهلها

ومن عجيب ما شاهدت انى كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتقصده رؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر ، وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلا الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانايش الفصل وخبرت عن صياد بفرصة تنيس أنه مر به فى بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح

وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار انها صارت مزرعة لبني آدم بل محصدة وانها عادت مأدبة بلحومهم لاطير والسباع وان كلابهم التى صحبتهم من منجلام هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذا الطريق أهل الحوف عند ما اتجمعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ، ولم تزل تتواصل هلكام الى الآن ، وانتهى اتجاعهم الى الموصل وبغداد وخرسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا فى البلاد كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من سيبتها فى الزحام فيضورون حتى يموتوا وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسناء بدرام معدودة . وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة أخرى جاريتان احدهما بكر ينادى عليهما بأحد عشر درهما

وسألتنى امرأة أن اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم ، فمقتها أن ذلك حرام فقالت خذها هدية . وكثيراً ما يتراعى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعهم . وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سبيهم الى العراق واعماق خراسان وغير ذلك بموتهم أجمعين فارسل عوضهم فوات أكثرهم هكذا مرات فى عدة جهات

وسمعتنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً ومن عجيب الكائنات في هذه المدة أنه ولد مولود أبيض الشعر ورأيته وأما خراب البلاد والقري وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجملة التي اقتصصناها وناهيك أن القرية التي كانت تشتمل على زها عشرة آلاف نسمة تمر عليها فتراها دمنة ، وربما وجد فيها نفر وربما لم يوجد ، وأما مصر فخلا معظمها ، وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلاً ، بعد ما كان كل قطر منها قد مر مدينة في زحمة من الناس ، حتى أن الرباع والمساكن والدكاكين التي في سره القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب

ولم يبق لأهل المدينة وقود في تنانيرهم وأفرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والأبواب والزرروب ، وبما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين ما زالوا محدودين سعدوا في دنياهم هذه السنة ، فمنهم من أثرى بسبب متجرة من القمح ، ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ، ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خير النيل في هذه السنة فانه احترق في برمودة احتراقاً كبيراً ، وصار المقياس في أرض جرز وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة ، وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات ابنية وتغير الماء في ريحه وطعمه تم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحائية كلما تطاول الأيام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في ايوب من السنة الحالية ، ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن ذهبت وبقى في الماء أجزاء نباتية منبثة فقط وطاب طعمه

وريجحه ، ثم أخذ في رمضان ينمو وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقام فيه ابن أبي الرداد قاع البركة فكان ذراعين ، وأخذ في زيادة ضعيفة أضعف من السنة الخالية ، ولم يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة ، وهو السابع عشر من مسرى ، فزاد أصبعاً ثم وقف ثلاثة أيام ، فأيقن الناس بالبلا واستسلموا للهلكة . ثم أخذ في زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعاً وست عشرة أصبعاً ثم انحط من يومه وانهمزم على فوره ، ومس بعض البلاد تحلة القسم فكانما زارها طيف خياله في الحلم

وانما انتفع به ما كان في البلاد مطماً نأ فاروى المنخفضات كالغريبة ونحوها غير أن القرى خالية عن فلاح أو حراث أصلاً ، فهم كما قال الله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ، وانما أرباب الجدات يجمعون شذاذهم ويلتقطون أفرادهم وقد عز الحراث والبقر جداً حتى يبع الثور الواحد بسبعين ديناراً والهزيل بدون ذلك

وكثير من البلاد ينحسر عنها الماء بغير حقه واغير وقته ، اذ ليس بها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ربيها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه ، وكثير مما زرع اكلته الدودة . وكثير مما سلم منها اضوى وعطب ، ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنانير الأردب والفول والشعير بأربعة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه برجوع الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده وفي حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة ، دخلت هذه السنة والأحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام الى زها نصفها فتناقص موت الفقراء لقاتهم لا لارتفاع السبب الموجب

وحكى أنه كان في مصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجاً ، وقس على هذا سائر ما جرت العادة أن يكون في المدينة من باعة وخبازين وعطارين وأسا كفة وخياطين وغير ذلك من الأصناف ، فإنه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقي من الحصيرين أو أقل من ذلك وأما الدجاج فعدم رأساً ، لولا أنه جلب منه شيء من الشام . وحكى لى أن رجلاً مصرياً شارف الفقر فألهم أن اشترى من الشام دجاجاً بستين ديناراً وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ولما وجد البيض يبع بيضه بدرهم ثم بيضتين ثم ثلثاً ثم أربعاً واستمر على ذلك . وأما الفرايج فيبع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يباع الفروج بدينار فصاعداً

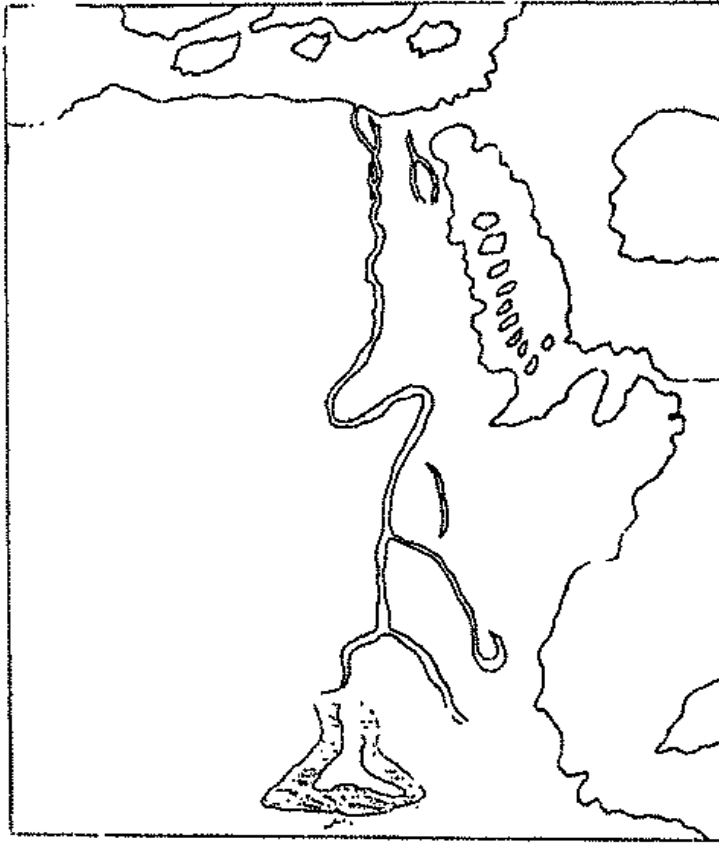
والذى دخل تحت الاحصاء من الموتي ممن كفن . وجرى له اسم في الديوان وضمته الميضاة في مدة اثنين وعشرين شهراً أولها شوال في سنة ست وتسعين رجب في سنة ثمان وتسعين مائة الف نفس واحد عشر الفاً إلا آحاداً وهذا مع كثرته نزر في جنب الذين هلكوا في دورهم وفي أطراف المدينة وأصول الحيطان، وجميع ذلك نزر في جنب من هلك بمصر وما تاخمها ، وجميع ذلك نزر في جنب من أكل في البلدين ، وجميع ذلك نزر جداً في جنب من هلك واكل في سائر البلاد والنواحي والطرق وخاصة طريق الشام فإنه لم يرد احد من ناحيته ، فسألته عن الطرق الا ذكر منها مزرعة بالأشلا والرم وهكذا ما سلكته منها ، ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موت عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فيموت على المحراث الواحد عدة فلاحين . حكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا كذلك الذين حصدوا

وباشر بعض الرؤساء زراعة فأرسل من يقوم بها ثم بعث يسأل عنهم

لجاء الخبر بموتهم اجمعين ، فأرسل عوضهم فوات أكثرهم هكذا مرات في عدة مرات

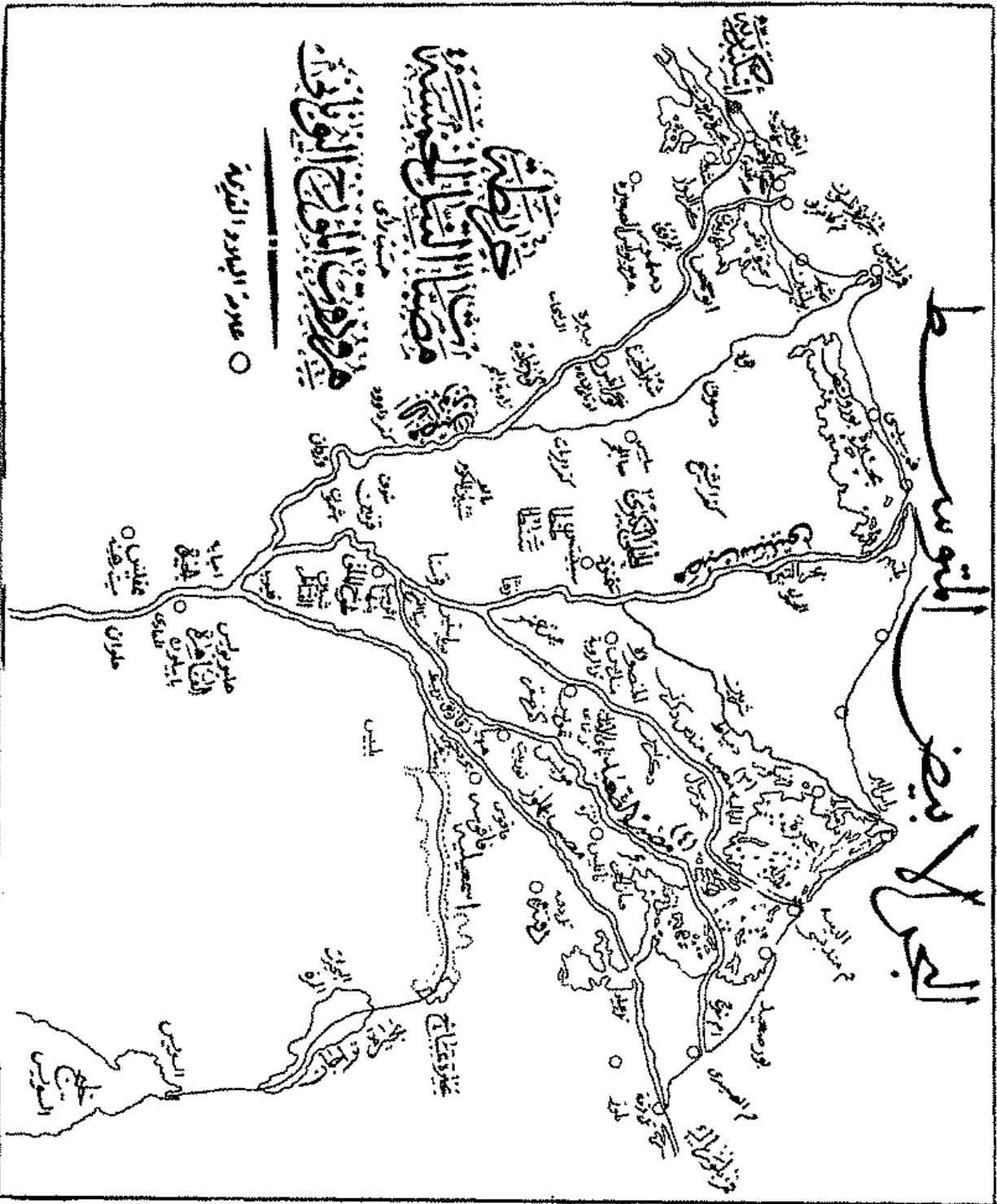
وأعجب من جميع ما اقتصصناه أن الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يراعون مغمسون في بحر ضلالتهم كأنهم هو المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الأحرار متجراً ومكتسباً ومنه عهدهم بهؤلاء النسوة حتى أن منهم من يزعم أنه افتضَّ خمسين بكراً ومنهم من يقول سبعين

وسمنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً . الخ «



رسم مجرى النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس منقول من كتاب عنوانه (The Nile question) وضع السر (Hurry Johstone)

الجبل الأبيض المتوسط



مصبات النيل : حسب عقيدة القدماء

لأحصاء هذه الجداول خطأ غير مقصود وان تناوله الناقلون خلفاً عن سلف منذ العصور الأولى . وخلاصة القول ان مصبات النيل (أى جداوله) سبع . وممن سرى الى رواياتهم الخطأ فى احصائها الفيلسوف الشهير سنيك وقد قال المؤرخون القدماء أن مصبات النيل سبع ويظهر أن مصباته الأصلية اثنان ، وهما الفرعان اللذان ينقسمان تحت مدينة القاهرة ، ومنهما تفرع باقى المصبات فى عهد الفراعنة توصلاً لإرواء المسافات الكبيرة التى كانت محرومة من الرى والزرع ، وباقتضاء العمران توسعوا فى الاستفادة من هذه الفروع ، فتدفقت منها الخيرات على العباد والبلاد ، وشكروا الأيدى العاملة التى قامت بهذه المشروعات النافعة . والمصبان الطبيعيان المذكوران هما الكانوبى (Canopique) فى الجهة الغربية والبلوزى (Pelusiane) فى الجهة الشرقية وقال هيردوت (فى كتابه الثانى الفصل ١٧ فى القرن الرابع ق م) إن مصبات النيل من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية من جهة البحر خمس وهى : البلوزى (Pelusiane) والصعيدى (Saitique) والمنديزى (Mendésique) والسبنيق (Sebennytique) والكانوبى (Canopique)

وقال سترابون (فى كتابه ١٧ الفصل الأول فى القرن الأول ق م) أن مصبات النيل من الشرق الى الغرب سبع وهى : البليزى والتانيتى (Tanitique) والمنديزى (Mendésique) والفتانيتى (Phatnitique) والسبنيق (Sebennytique) والبلييتى (Bolbitique) والكانوبى

وقال ابن الحكم من علماء القرن الثالث للهجرة ان مصبات النيل سبع ، ولم يتفق مع العلماء الا فى العدد فقط وهى : (١) بنها (٢) الفيوم (٣) ممفيس (٤) سردوس (٥) دمياط (٦) سخا (٧) اسكندرية

مقاييس النيل

في عهد الفراعنة

أوجد الفراعنة مقاييس نظامية في كثير من المناطق للرجوع إليها في موازنة المياه وتوزيعها بين الأقاليم توزيعاً ثابتاً يبنى بحالتها الطبيعية، وبنوا هذه المقاييس على نسبة اختبارية في فصول السنة كلها، لتكون هذه المقاييس ميزاناً صحيحاً حتى إذا طرأت بعض العوارض في منطقة أمكنهم حصر ميزانيات الماء فيها، فلا يحدث من انحدارها القهري اخلال بالنظام يؤذى المناطق المجاورة، وهذه الاختبارات تدل على حذق وفطنة

قال سترابون (في كتابه بالفصل ١٧ الممدد ١) كان لدى قدماء المصريين مفتشون فينون يحييون الناس والحكام عن كل الملاحظات التي تطلب منهم بتواريخ بدء الفيضان ونسبته، لأن لديهم علامات ثابتة (أى المقاييس) يرجعون إليها في معرفة ذلك قبل أوان الفيضان، وأنه يوجد بمدينة بيلاق مقياس يشبه مقياس مدينة ممفيس. والمقياس المبنى من الحجر على شاطئ النيل هو عبارة عن بئر تتوازن فيه درجة المياه ارتفاعاً وانخفاضاً على مقدار مياه النهر. وقد نقشوا في جوانب البئر أشارات تدل على درجات الفيضان في كل عام. وقد أيدت الاكتشافات الأخيرة رأى هذا المؤرخ. وعثر علماء البعثة المصرية على مقياس مدينة بيلاق وزاره جومار قبل ترميمه وقال في وصفه ما يأتى: يتألف هذا المقياس من سطح مربع ومنه ينزل بسلم الى ٨٥ درجة وينقسم سطحه الى ثلاثة أجزاء وفيه باب يفتح الى النيل لا يمكن النظر اليه الا وقت انخفاض المياه، وجدرانه المتطرفة مبنية بقطع افقية من الحجر

الجرانيت وقد صالت يد القدم على النقوش الهيروغليفية ولم يبق من الآثار
اليونانية فيه الا النذر القليل

قال هليودوركان في مدينة سيين مقياس للنيل دقيق في الصنع والمزية الفنية
في أوائل استعمارهم لمصر، فأقاموا فيها المعامل والحصون لتحفظ الحدود الملاصقة
لبلاد الحبش، والى هذا يرجع رأى من قال ان مقياس مدينة سيين هو المقياس
الذى كان في مدينة بيلاق لأن موقعيهما متقاربان جداً ويسرى الى الظن
الخطأ في الرواية أو نسبة كل مدينة منهما الى اشتغالها على مقياس خاص لها
ويوجد بين الآثار المحفوظة في المتحف البريطانى نصوص هيروغليفية
تثبت أن الملك سنوسرت الثالث صنع في السنة الثامنة من حكمه بعض
اصلاحات في مقياس بيلاق خلاصتها : « في السنة الثامنة من الشهر الثالث
من فصل الفيضان في عهد ملك الوجهين البحرى والقبلى سنوسرت الثالث
المحسوب من ساتيت (معبوده مدينة بيلاق) الخالد الذكر قد أمر وزيره امنى
بعمل باب من مباني مقياس بيلاق الخ ٠٠)

وقد ذكر مقياس النيل في كتاب الموتى يقول الميت « أيتها الدار كراو
التي يقابلها النيل في أعلا تاتو حيث يقاس النيل في ممرة ، ويقول الميت أيضاً
(في الفصل ١١٠ من كتاب الموتى) « قد وصلت الى إقليم كبير وقت الفيضان »
ويتضح من هذه النصوص الدينية أن الميت يقصد مقياس النيل ويمد نفسه
سعيداً لكونه قاس الفيضان الذى يجعل مصر مخصبة بمحض الهبة الالهية

ونشر بروكش باشا نقوشاً يرجع تاريخها الى عصر البطالسة خاصة
بمقياس النيل الكائن في مدينة بيلاق ونصها « متى خرج النيل في وقته من
منبعك يكون ارتفاعك في بيلاق ٢٤ ذراعاً) ووجد العالم جورج داريسى في
مدينة هابو مقياساً للنيل كمقياس بيلاق ومنقوشاً فيه اسم نقتانيبو الأول

أخذ ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ، ولم توجد معلومات يستنتج منها درجات الفيضان في هذا المكان
وقد أندرست بمرور الزمن مقاييس أخرى كانت في مناطق عديدة بل كان بقرب كل معبد في مدينة على النيل مقياس خاص بها يستفيد به اهل الجهات في معرفة درجات الفيضان في أوائله ونهايته
وقد قال ديودور الصقلي أن مدينة ممفيس كان بها مقياس شهير وأثبت بشأنه العبارة الآتية :

لما كانت مسألة الفيضان الشغل الشاغل عند الملوك المصريين اعتنوا في بناء مقاييس له ، ومن جعلتها مقياس مدينة ممفيس ، وبواسطته كانوا يعرفون درجات الفيضان بالضبط » وقال سترابون أن مقياس النيل الذي في مدينة بيلاق بنى على نسق مقياس مدينة ممفيس
وقال بروكش باشا العالم الأثري إنه كان في مدينة ديوبوليس مقياس خاص بها وكان الفيضان يصل في مدينة بيلاق الى ٢٨ ذراعاً . وكان مستوى الفيضان سبعة أذرع في مدينة ديوسبوليس . ووصف المؤرخ بلين آباراً وجد فيها درجات مقسمة خاصة بمقاييس النيل بطريقة مختصرة لأهل البلاد الموجودة بها

وقد عثر سنة ١٨٩٤ على جدار أثري منقوش فيه احتفال بفيضان النيل بالعبارة الآتية ترجمتها « في السنة ١٠ في الشهر الثاني من فصل الصيف جاء النيل ذاخراً . واكتشف المسيو جورج لجران نقوشاً على رصيف الكرنك تبين الجهات التي ابتداءً فيها الفيضان من السنة السادسة من حكم الملك ششنق الأول الى السنة ١٩ من عهد الملك بسامتيك وقال سترابون الجغرافي اليوناني أنه رأى نقوشاً تثبت تعيين مفتشين فنيين كانوا يراقبون زيادة النيل وتقصانه

في المقاييس وربما كان هؤلاء الأشخاص هم الكتبة المذكورون في شاهد حجري محفوظ بمتحف ليد يرجع تاريخه الى الأسرة ١٢ ومنقوش عليه هذا اللقب باللغة المصرية القديمة « الكاتب المنوط بمقياس الفيضان الخ ... »

ذكر مقاييس النيل وزيادته

في عهد العرب

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وضع مقياساً بمنف ، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباً وهي صاحبة حائط العجوز مقياساً بأنصنا وهو صغير الذراع ومقياساً بإخميم . ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان وهو صغير ، ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياساً بالجزيرة وهو أكبرها . قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط

وقال القضاعي كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وبني مقياساً بمنف وهو أول مقياس صنعه عم ، وقيل ان النيل كان يقاس بارض علوة الى أن بنى مقياس منف ، وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل . ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياساً بأنصنا وهو صغير الذراع ، ومقياساً آخر بإخميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر ، وقيل إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة ، فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالله هناك الى أن ابنتي المسامون بين الحصن والبحر أنبتهم الباقية الآن ، وكان للروم أيضاً مقياس بالقصر خلف الباب يمنة في مدخله في داخل الزقاق أثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحوله ثم بنى عمرو بن العاص عند

فتحه مصر مقياساً بأسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى في أيام معاوية مقياساً بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان وكانت منزله ، وكان هذا المقياس صغير الذراع ، فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد ، وقيل إنه كسر فيه ألفى أوقية وهو الذى بنى بيت المال بمصر ، ثم كتب أسامة ابن زيد التنوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه ، فكتب إليه سليمان بأن يبني مقياساً فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين ، ثم بنى المتوكل فيها مقياساً فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد ، وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن كان يقول العمى أصله من البصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل ، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر ، فلم يزل القياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده الى اليوم وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين ، ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه ابو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له الف دينار فعمّر وبني الخازن فى الصناعة مقياساً وأثره باق لا يمتد عليه

وقال يزيد بن ابى حبيب ان موسى عم دعا على آل فرعون فخبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك فى ليلة الصليب ، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الساعة ستة عشر ذراعاً ، فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لبيه موسى عم

قال القضاعىّ ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم ، قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلتقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلاً عن تقاصره ، وأن فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الأسعار لغير فحط ، فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال ، فأجابته انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعاً ، والحد الذى يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعاً ، والنهائتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنتا عشرة ذراعاً في النقصان ، وثمانى عشرة ذراعاً في الزيادة ، هذا والبلد في ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عند ما تساموه من القبط وخميرة العمارة فيه ، فاستشار عمر أمير المؤمنين عليّاً رضى الله عنه في ذلك ، فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياساً ، وان ينقص ذراعين على اثنتى عشرة ذراعاً وأن يقرّ ما بعدها على الأصل ، وان ينقص في كل ذراع بعد الست عشرة ذراعاً أصبعين ففعل ذلك وبناه بجلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الأرجاف وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثنتى عشرة ذراعاً أربع عشرة ، لأن كل ذراع أربع وعشرون أصبغاً فجعلها ثمانياً وعشرين من أولها الى الاثنتى عشرة ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثنتى عشرة ثمانياً وأربعين إصبغاً ، وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين .

قال القضاعىّ وفي هذا الباب نُظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار وانتفاض الأحوال . وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربعة وعشرون أصبغاً كل ذراع ، والمقاييس الاسلامية على ما ذكر منها

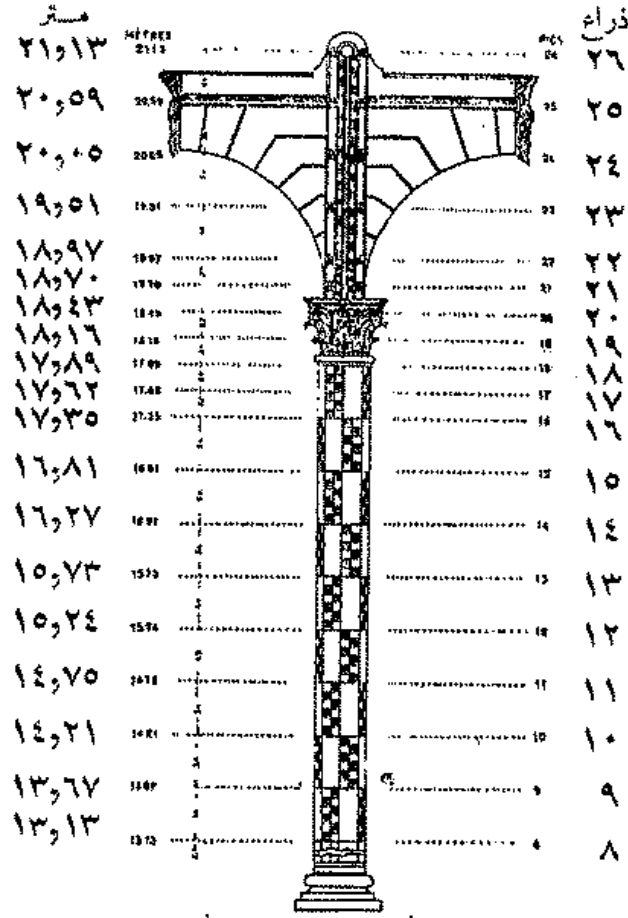
المقياس الذي بناه أسامة بن زيد التنوخي بالجزيرة وهو الذي هدمه الماء وبني
المأمون آخر بأسفل الأرض بالبشرودات ، وبني المتوكل آخر بالجزيرة وهو
الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره

قال بن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في اثني عشر يوماً في مسرى
اثنتي عشرة ذراعاً فهي سنة ماء وإلا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً
قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك

وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من
جبل هناك يُعرف بجبل القمر فانه يبتدئ بالتزويد في شهر أيب ، والمصريون
يقولون إذا دخل أيب كان للماء ديب وعند ابتدائه في التزويد يتغير جميع
كيفيةاته ويفسد ، والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آجنة فيجتلبها
معه الى غير ذلك مما يحتمله ، فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعاً وزادت السادسة
عشر أصبغاً واحداً كسر الخليج ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع
خاص يحضره العام والخاص . فاذا كسر فتحت الترع وهي فوهات الخاجان ،
ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى أعلى مساكنهم
من الضياع والمنازل وهي على آكام ورُبِّي لا ينتهي الماء اليها ولا يتسلط
السييل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بجرّاً غامر الماء بين جبلها
ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له ، واكثر ذلك يحوم حول
ثمانى عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائداً في صبه الى مجرى النيل ومسربه فينضب
أولاً كأن من الأرض عالياً ويصير فيما كان منها متطأً منا فيتترك كل قرارة
كالدرهم وينادر كل تلة كالبرد المسهم

وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية
وأما النراع السوداء فهي أطول من ذراع اللور بأصبع وثلاثي أصبع وأول من

وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس بها في ذراع البزّ والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر والمقياس عمود رخام أبيض مشتمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين أصبغاً كل ذراع .



Colonne du Mérim, d'après le livre de KASSIR ١٥٧, The Nile Gauge at Roda.

رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب عنوانه (The Nile Gauge at Roda)
وضع قاسم بك

« المقياس بناء على تحقيقات مهندسى العصر الحالى »

إن مقياس الروضة هو عبارة عن عمود من الحجر مقسم الى أذرع وقراريط موضوع بوسط بئر مربعة من البناء طول ضلعها نحو الأربعة أمتار، وهو مقام بالنهاية الجنوبية لجزيرة الروضة تجاه مصر القديمة .

أما بناء هذا المقياس فكان فى سنة ١٨٦١م كما قرره المستر ولكوكس فى كتابه « الرى المصرى » ، وقد وضع الفرنسيون حين دخولهم لهذه البلاد فى سنة ١٧٩٨ واحتلالهم اياها سنتى ١٧٩٩ و ١٨٠٠ وخروجهم منها فى سنة ١٨٠١ تاجاً من خرفاً فوق عمود المقياس محفور عليه (La République Française) (أى الجمهورية الفرنسية — السنة التاسعة من تأسيس الجمهورية) ، ولكن بعد مبارحة الفرنسيين قد أسقط هذا التاج فى البئر ووضع بدله قاويس من خشب القرو الثقيل فوق العمود ثبت من طرفيه بحائطى البئر . هذا ويظهر من فحص وضع القاويس المذكور بالنسبة لقمة عمود المقياس أن هذا العمود لا بد وأن يكون هبط بمقدار ١٩,٠ فى خلال القرن الماضى

ومما يشاهد فى هذا المقياس أن التقاسيم المنقوشة على عموده ليست ظاهرة جلياً . أما مقادير الأذرع فهى واحدة بطول العمود كله انما الأرصاء اليومية تجرى لحد الذراع الثانية عشرة فقط على العمود وما تجاوز ذلك يرصد على تقاسيم أخرى على مدرج من الحجر بداخل البئر وليس ارتفاع درج هذا المدرج مقسماً تقسيماً متساوياً بل أن الأذرع التى تحت ١٦ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٠,٥٤ من المتر تقريباً ، والى بين ١٦ ذراعاً و ٢٢ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٠,٢٧ من المتر تقريباً . أو نصف ذراع ثم ما فوق ٢٢ ذراعاً فطول الذراع الواحدة ٠,٥٤ من المتر

وقد أوضح المغفور له الكولونيل روس سبب هذا التقسيم حيث قال :
إنه حينما بنى المقياس بالروضة كان المعتاد فتح جميع ترع الري عند بلوغ
تسوية مياه النيل ١٦ ذراعاً بهذا القياس ، وكان يعقب فتح الترع ضرورة
تحويل جانب عظيم من مياه النهر لها . ولهذا السبب كان يقدر أن زيادة
ذراع واحدة بأسوان يقابلها نصف ذراع فقط بالروضة وكان يستمر على هذا
التقدير حتى تبلغ الزيادة بالروضة ٢٢ ذراعاً أى لحد تمام ملء الخيضان وسد
أفهام الترع . وبعد ذلك كان يقدر أن كل زيادة تحدث بأسوان كانت تأتي
بتمامها لمقياس الروضة ولهذا كانت ارضاد المقياس بالأذرع الكاملة بعد تجاوز
تسوية مياه النيل ٢٢ ذراعاً

أما في أيامنا هذه فنظراً لكون مياه النيل لا تمر بترع الخياض بمقدار
كاف الا عند بلوغ تسويتها بمقياس الروضة ١٩ ذراعاً فلا فائدة من اختلاف
أطوال الأذرع بل ربما أوجب الالتباس

ومما يحسن ايراده هنا أن لا فائدة من دلالات مقياس الروضة في فصلي
الشتاء والصيف لأن الرد الناتج من الحجز على القناطر الخيرية اثناء هذين
الفصلين تجعلها غير دالة على حالة مياه النيل بالتمام^(١)

هذا وفي سنة ١٨٨٦ م قد وضع السيروليم جارستن لما كان مفتشاً لرى
القسم الأول مقياساً آخر مقسماً بالأمتار داخل بئر المقياس الأصلي وجاء
رصده يومياً من ذلك الحين مع المقياس الأصلي

ومما عساه يكون فيه فائدة للعموم العلم بأنه لم تعمل مباحث لحد الآن
للعلم بالنهاية السفلى لتقسيم المقياس وانما قد ربطت بواسطة الميزانية هذه
التقسيم بسطح البحر المالح الأبيض المتوسط فوجد أن منسوب ٦ أذرع

(١) ابتداء الحجز على القناطر الخيرية كان من سنة ١٨٨٤

هو ١٢,٠٥.٢٥ فوق سطحه . هذا وكان في عزم السير ولیم جارستن عند ما وضع المقياس المترى أن يزيل القاويس الموضوع فوق عمود المقياس الزراعى ويرد التاج الذى كان صنعه الفرنسيون الى محله الأصيل ورسم مقياس الروضة صفحة ٨٧ ينبئنا بما كان عليه من يوم انشائه الى الآن وعلى الزيادة التى استلزم الحال وضعها فوق عمود المقياس مقسمة على مثال تقسيمه الأصيل وعليه وعاينها التقسيم المترى الحديث المنوه عنه بهذا

الضرائب المصرية القديمة

وجد منقوشاً على معبد ادفو ديباجة كأنها عن لسان النيل تقدم أقاليم مصر الى المعبود حورس الكبير إله أدفو بما معناه : « جئت اليك أيها المعبود العظيم استعرض تحت بركاتك جميع الأشياء والمحاصيل والمباني والمعاهد ، وخدمة الأماكن المقدسة القائمين بواجباتهم الدينية ، معربين بمظاهر أفراحهم المتنوعة واعيادهم المستديمة ، اعترافاً بان النيل الذى يستمد فيضيه من المعبود المحترم اذى واجبه فى إرواء الأرض ونتاج النبات ، فهو وكل ما يستفيد بمنافعه تجود به الأرض على الزراع أثر من بركات هباتك ، فنقبل هداياه لأن فيض النيل هو المساعد على استبقاء الحياة للأجسام ، وبواسطته يستطيع العباد تقديم هداياهم وقرباتهم الى الآلهة ، ويتوالى فيضه تنضاعف عنايتهم باقامة الأفرح وتأدية الشعائر المألوفة ، شكراً لهذه النعم ، وبقبولك هديته تنبث فى الشعب الشجاعة والحركة الطيبة . فاليك نضرع فى هذا الاحتفال وبك نتعنى دوام الفيض بالبركات » . ومن هذا المأخذ يتضح أن رخاء البلاد لا يكون إلا بتوفر المياه وموازتها هى الأساس الأول فى ترتيب المنافع واقتسامها بين الشعوب ،

وتقدير المكافأة من الشعب الخاضع للهيئة الحاكمة المسيطرة بالنظمات على النيل والتجارة وتعليم الشعب والدفاع عن البلاد. ومن هذا أيضاً ارشادنا التاريخ الى أن الضرائب تفرض على الأراضى الزراعية بنسبة درجاتها فى الخصوبة ووفرة المحاصيل، لأن بالضرائب تستطيع الحكومات تنظيم الشؤون العامة جهد استطاعتها وتبذل عنايتها فى ترقية الأحوال باقتضاء العصور وتطورات الأدوار العمرانية

وقد كان التعامل فى السابق جارياً عن تبادل العروض التجارية، والمحاصيل بنسبة اصطلاحية، ألفوا قبولها فيما بينهم باعتبار أن الأردب القمح يعادل كذا من الأقمشة، ويعادل كذا من باقى المصنوعات وأدوات المبانى ونحوها فكان الفلاح يدفع للصيارف مقادير من المحاصيل على نسبة زراعته، وصاحب الأغنام يؤدى عدداً منها بنسبة عدد أغنامه وهكذا.

وكان بعض الملوك يجعل علاوة على تقدير الضرائب بأنواعها بالأسلوب السالف ذكره قيام بعض القرى والمدائن بشميين طوائف من المستخدمين الذين يكفون بتنفيذ نظمات الري، والمحافظة على الترع والجسور، وتطهير الجداول ومؤاساة الذين يؤسرون فى الحروب بما يحتاجونه من الطعام الى أن يتوفر لديهم من كسب أيديهم ما يكفى باحتياجاتهم والقرى التى كانت لاتستطيع النفقات لاولئك الموظفين، كانوا يكفون أفراداً منها بما يناسب أحوالهم من هذه الأعمال. وجاء فى التوراة أن فرعون كان يسخر قبائل بنى اسرائيل فى هذه الشؤون

وكان عدد المكلفين لتحصيل الخراج كثيراً جداً. والقصد من كثرتهم تسهيل الحصول على ما يمكن فى أيدي المزارعين ليسهل على المحصلين توريد ما جمعه الى الأماكن الحكومية التابعة لها مناطقهم بإيسر مستطاع،

باعتبار أن الكميات التي تجبى يجب عرضها للمعاملات التجارية ، حتى لا تزدحم بها المخازن الحكومية ، ويترتب على تراكمها تعرض البعض منها الى التلف ، أو أن يؤدي ذلك الى شبه احتكار في المطاعم ونحوها ، فكانت وجهة الملوك في هذا الوقت سعة الرأفة بالطبقات الفقيرة ، وأن من صالح هذه الطبقات تسهيل السبيل أمامها في موارد الارتزاق وأوجه الكسب

وكان عمال الخراج يدعون باللغة المصرية القديمة (ونو) وفي عهد الدولة الحديثة (سنو) وبالقبطية (سون) أى جابى خراج المزارعين وكان تقدير الخراج بعد مقياس النيل ويتم تحصيله قبل تمام الفيضان ، اذ كانوا بحلوله يمتنعون عن تحصيل الضرائب وكانت أعمال الجباية وتحديد مقادير الضرائب غاية في الدقة ، ولهذا يلتجئ الجباة الى استعمال وسائل للاخضاع في دفع ما عليهم . وكان بعض المزارعين يتذمر من الضرائب كلما تجدد ربطها عاماً بعد آخر ، لأنه يظن نفسه مغبوناً في التقدير باديء بدء . وعند ما يتأكد أن التقدير جاء طبق ما وصلت إليه التجديدات الفنية بعد مقياس النيل يدعن للأداء . وقد جاء في بعض الأوراق البردية مثل ورقة أنسطاسى وسالير أن بعض محصلي الأموال كانوا اذا أعياهم الأمر لجأوا الى ضرب الأشخاص بالعصى أو تعطيسهم في الماء الى أن يدفع المماطل ما يكون متأخراً عليه

وكان تحت أيدي هؤلاء الكتبة المكلفين بجبايات الضرائب وتحصيلها مستخدمون كثيرون بألقاب متنوعة . فمنهم من يلقب المكلف بمون الفم ومنهم من يلقب برؤساء الشون أو المخازن . وفي التوراة ما يؤيد ذلك لاسيما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

وكان المعبود خراج آخر فوق خراج الحكومة علاوة ما كانوا يخصصونه من الغنائم والأسلاب الحربية ، وهذا خلاف الهدايا التي كان يقدمها الشعب

لخدمة المعابد . وكان الكاهن يلقب عندهم رئيس شؤون امون ووكيل خزانته
وكان الشعب المصرى يدفع العشر للمعبود . ومن المؤرخين من كان
يظن أن أداء هذا العشر من مخترعات الشعب الاسرائيلى ولكن اتضح أنه
كان موجوداً في مصر من الزمن القديم

وقد اكتشف حديثاً شاهد للملك تفتانيبو الثانى ووجد منقوشاً فيه
أن الملك بسبب انتصاره على غريمه في جهات الدلتا وهب لوالدته المعبودة
نيت رفع عوائد المكوس التى كانت تدخل خزانته من هذه البلاد

وكان من عاداتهم اذا جاء الفيضان ناقصاً ان يخفض من قيمة الخراج
مقدار يعادل نقص الفيضان ، ويؤيد ذلك ما وجد في بعض النقوش لأموبنى
أمير الأقليم (مح) في عهد الملك سنوسرت بما معناه : « لما كان النيل مرتفعاً
والمحاصيل جيدة لدرجة ساعدت في ثروة المزارعين ، لم أفرض عليهم ضرائب
جديدة ليكونوا على الدوام في فرح وشكر » . وهذه الجملة تثبت أنه عند نقص
الفيضان يراعى تخفيض الضرائب بقدر هذا النقص ولا يجوز تقرير ضرائب
جديدة .

ووجدت في نقوش أخرى لأمرأ أسيوط في عهد الملك خيقي الأول
عبارات عن تاريخه بالمعنى الآتى : يفتخر الملك خيقي الأول بأنه أغنى المزارع
وساعده على الرفاهية حتى جعله يقاتل بانهج بدلاً من الذرة الذى كان القوت
الغالب لموم المزارعين في تلك الأدوار

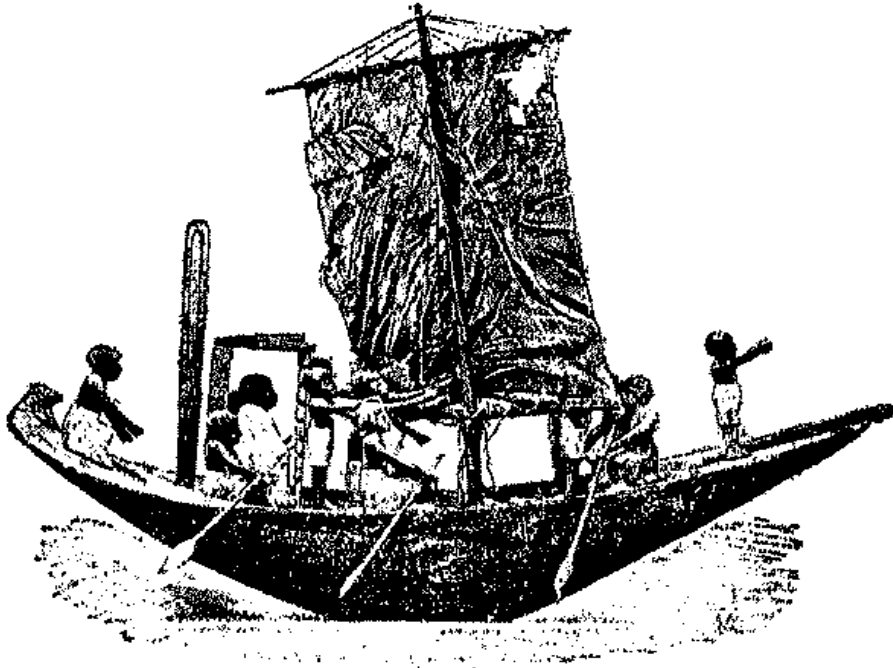
وكانت طريقة الجباية مرتبة على أشهر المحاصيل ، لأن الخراج كان يؤخذ
من أجودها ووجد في بعض النقوش على قبر أمتن الذى كان معاصراً لأحد
ملوك الأسرة ٦ ما يؤيد هذه القاعدة وسريان العمل بها الى عصر الأسرة ٢٤
وفي عصر البطالسة والرومان كان الملك يشرف على لجان تقرير الخراج

التي تؤلف في كل ولاية لتقدير قيمة الأراضي ومحصولاتها، ووضع الخراج لها بدرجة تطابق حالتها . ويقصد الملوك بهذا الاشراف منع التحيز والمعاملة من أعضاء اللجان لوجهاء الاقاليم في التقدير ورفع الحيف عن الفقراء فيما يقدر عليهم

وقد عثر سابقاً على رسوم نحاسية بها نقوش مضمونها أن فيضان النيل في السنين ١٣١ و١٤٤ و١٥٣ كان حسناً جداً

« المكوس المصرية القديمة على المراكب »

من المكوس التي كانت مفروضة قديماً في الديار المصرية ضرائب على الملاحة فيفرض على السفن عند مرورها في مناطق معينة اداء مقدار معين على نسبة ما تحمله كل سفينة عند اجتيازها الممر المقرر له الرسم



مركب شراعية مصرية قديمة والأصل بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالقاعة D

ويوجد في متحف اللوفر قطع حجرية منقوش بها بيان بنقطة محدودة في مدينة سيين تؤدي المراكب عندها رسوماً مقررة قبل اجتيازها القنطرة ، فكانت القناطر تقفل في ممر الأنهر والترع ، ولا يصرح لها بعبورها إلا بعد أداء الضرائب ومنحها تصريحات المرور

وكانت مدينة بيلاق مرسى لأساطيل النيل . وتوجد أيضاً قطع حجرية أخرى محفوظة بمتحف اللوفر تحت رقم ٢٦ فيها نقوش صريحة بأن المراكب تدفع قبل مرورها مقداراً من الفضة أو المواشى أو الأشياء المصنوعة أو حبوباً او ما يفي بمؤونة العمال في تلك القنطرة مدة ٢٩ يوماً

« أموال خراج أراضي مصر في عهد العرب »

ذكر أخبار أموال خراج أراضي مصر وذلك على سبيل الاختصار . قال ابن عبد الحكيم ان أموال الديار المصرية في زمننا هذا تنقسم على قسمين أحدهما يقال له خراجي ، والآخر يقال له هلالى . فالل الخراجى ما يؤخذ من الأراضي التي تزرع حبوباً أو نخلاً أو ما تزرع من أصناف الزراعات أو غير ذلك فهذا يسمى خراجياً ، وأما المال الذي يسمى هلالى فقد أحدثه جماعة من ولاية السوشيا بعد شئ حتى وصل ذلك في الاسلام . فكان أول من أحدث الأموال التي هي من وجوه المظالم بمصر أحمد بن محمد بن مديبر لما ولي أمر خراج مصر بعد سنة خمسين ومايتين ، فانه كان من دهاة الناس ومن شياطين الانس ، فابتدع في مصر بدءاً كثيرة فصارت مستمرة من بعده الى الآن ، فحجر على النطرون وكان مباحاً ، وقرر على الكلا الذي ترعاه البهائم مالا وسماه المراعى ، وقرر على الأسماك التي تصاد من البحر مالا وسماه المصايد وكانت مباحاً من عند الله للصيادين . وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء

كثيرة فانقسم مال مصر من يومئذ الى خراجى وهلالى ، فلما ولى الأمير أحمد بن طولون أبطل هذه المظالم التى أحدثها أحمد بن محمد بن مدبر وكتب بأسقاطها فى جميع أعمال الديار المصرية . وكانت نحو من مائة الف دينار فى كل سنة . فلما كانت الدولة التى يقال لها الفاطمية أعادوا جميع ما أبطله الأمير أحمد بن طولون من المظالم والمكوس . فلما ولى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر بأسقاط تلك المكوس من أعمال الديار المصرية كلها ، وكتب بذلك مرسوماً بخط القاضى الفاضل ، فلما ولى ابنه الملك العزيز عثمان أعاد تلك المكوس التى أبطلها أبوه صلاح الدين . فلما ابتدأت دولة الأتراك وولى الملك المعزيبك التركمانى وانقرضت دولة بنى أيوب جدد عدة مكوسات وضمانات ، وأخذ أموال التجار . فلما ولى الملك المظفر طز جدد عدة مظالم عند خروجه الى هلاكه ، وصادر الناس وأخذ على الأملاك والأراضى والنخيل والروس من ذكر وأنثى ، وأحدث من هذه الأنواع أشياء كثيرة من أبواب المظالم ، حتى بلغت هذه المصادر نحو ستمائة الف دينار . فلما ولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، أبطل جميع ما كان أحدثه المظفر قطز من أبواب المظالم كما تقدم ذكر ذلك ، فلما ولى الظاهر برقوق أبطل من المظالم أشياء كثيرة ، مما كان يؤخذ على القمح والشعير والفول ، وما كان يؤخذ على الدبس والخلع بباب النصر ، وأبطل الأبقار التى كانت ترمى على الناس بالوجه البحرى عند فراغ الجسور ، وأبطل من هذا النمط شيئاً كثيراً . فلما ولى الملك الناصر فرج بن برقوق زاد فى الظلم وتجديد المكوس بواسطة جمال الدين يوسف الاستادار . وهو الذى جدد المكوس على بيع السمك البورى فغلا سعره بالقاهرة وقل وجوده

« خراج مصر في الاسلام »

قال ابن وصيف شاه : جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص لما فتحها مكانة اثني عشر ألف ألف دينار . ثم جبي عبد الله بن أبي سراح في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال الامام عثمان لعمر بن العاص يا ابا عبد الله درت اللقحة بعدك فقال له عمرو بن العاص نعم درت ولكن أجاعت أولادها . وهذا الذي جباه عبد الله بن أبي السراح ، انما أخذه على الجماجم والروس خاصة دون الخراج ثم من بعد ذلك انحط خراج مصر حتى جباها أسامة بن زيد عامل مصر في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي اثني عشر ألف ألف دينار . فلما ولي الأمير احمد بن طولون على مصر وجدها خراباً ، وقد انحط خراجها حتى بقي ثمانماية ألف دينار ، فلا زال يجهد في عمارتها واصلاح جسورها وقناطرها حتى بلغ خراج مصر في أيامه أربعة ألف ألف دينار ، وثمانماية الف دينار وجباها ابنه سخاورية الف الف دينار مع وجود الرخا حتى قيل بيع في أيامه كل عشرة أراذب قمح بدينار فبلغ خراج مصر في أيام الأمير محمد بن طغج الأخشيدى ألف ألف دينار ، فلما قلد جوهر القائد من الغرب في أيام الخليفة المعز الفاطمي جبا خراج مصر في أيام الفاطميين الف الف ومايتي الف دينار ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثمانماية وجباها في أيام الحاكم بأمر الله ثلاثة آلاف الف دينار وأربعمائة الف دينار وذلك في سنة ستين وثمانماية . قال المسعودي آخر ما اعتبر في أحوال أراضى مصر فوجد حرثها ستون يوماً ومساحة أرضها مائة الف الف وثمانون الف الف فدان وأنه لا يتم خراجها حتى يكون فيها أربعمائة الف وثمانون ألف حراث يلزمون العمل دائماً ، فاذا أقيم بها ما ذكرنا تمت عمارتها وكل

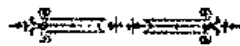
خراجها، وآخر ما كان بها مائة الف وعشرون الف مزارع فكان بها في الصعيد الأعلى سبعون الفاً من مزارعين ، وفي أسفل الأرض خمسون الفاً من مزارعين وقد تغيرت أرض مصر الآن تغييراً فاحشاً في جميع ما كان بها من الأحوال القديمة واختلت اختلالاً فاضحاً فلذلك قلّ خراجها وضعف حال جندها

رأى العلماء في بحيرة مريس

لما كان يتوقمه أمينمحت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة من المضار التي يحدثها طغيان الفيضان ، أو ترتب على نقصان الفيضان عن مناسيبه ، أتم مشروعاً عظيماً وذلك بأنه رأى غربي مصر واحة أراضيها زراعية (بالقلم الفيوم) ممتدة في الصحراء ، وتتصل ببرزخ في ناحية يرويها النيل ، وفي وسط هذه الواحة يمتد سهل فسيح فيه أرض واسعة منخفضة ، تمثل وادياً فيه بحيرة طبيعية (المروفة الآن ببخيرة قارون) وطولها أكثر من ثلاثين ميلاً ، فنفذ مشروعه الجليل بإنشاء بحيرة تتصل الى هذا الفضاء ، ومساحتها تضاهي (١٠٠٠٠٠٠٠) متراً مربعاً لتدخر فيها المياه ، فيستفيد منها الأقليم اذا جاء النيل شحيحاً ، والجانب الأيسر لها يمتد الى البحر الأبيض المتوسط ، فينحدر الى هذه البحيرة كل ما يزيد عن الحاجة في زمن الفيضان . وما تضيق به هذه المساحة ينصرف الى بركة قارون بواسطة ترعة أعدت لذلك

فاشتهرت هذه البحيرة وأجلّ مشروعها عظماء الرجال المهندسين وتدعى الآن بحيرة مريس . وكلمة مريس معناها باللغة المصرية القديمة بحيرة . ولما رأى هيردوت هذه البحيرة أطرب في وصفها وبالقوائد الجملة الناتجة عنها ، وقال إنها كانت تبعد عن النيل مسافة سبعة أيام وكان عمقها خمسين باعاً .

واقترض علماء الآثار نظريات كثيرة عنها . وقال المهندس لينان الذي كان من رجال الري المدودين في عصر الخديوى اسمعيل باشا إن بحيرة مريس هي شرق إقليم سلسلة جبال ليبيا في جهة بجيج وبهبجور ذات التلول الممتدة قبلى حوض العرق ، وقد وافق ليسييس العالم الأثرى الالماني على هذا الرأى ولكن العالم ماسبرولم يؤيده ، وأيدت مذهبه فيها ابحات مصلحة الري الحديثة وقال : لا أظن وجوداً لهذه البحيرة . وقد يكون المؤرخ هيردوت لما زار مصر كان مروره بتلك الجهة في زمن الفيض الذى تكون المياه فيه متدفقة في حياض البلاد كلها ، ويظنها الناظر بجرأ واحداً وتخيل الحواجز بين حياض البلاد صفة لبحيرة دائمة ، فكتب عنها ما وسعه ظنه بدون بحث ولا تحرى عن الحقيقة ، ولكن اذا كانت هذه البحيرة احدثت كما وصفها الرواة فانها تكون من أعظم المفاخر للمقول البشرية ومن اكبر الآثار لأعظم الملوك في عمران البلاد وخصبها والى المباهاة والاعتراف بمزايا هذه البحيرة تكلم كثير من علماء الغرب فى فوائدها وانها بما يترتب عليها من المنافع فى توازن الري والقيام بارواء البلاد المجاورة عند نقص الفيضان تعد أعظم شأنًا فى الفخر لعظماء الملوك ممن حصروا أعمالهم على تشييد الاهرامات ومحوها ، لأن الاهرامات تدل على عظمة وسطوة فقط ولكن انشاء البحيرات وتمهيد السبل لأصلاحات الري اكبر فائدة وأحق بالشكران لما يترتب عليها من منفعة بنى الانسان



أعياد النيل

عند قدماء المصريين

عرف من الآثار التي استكشفت أن المصريين كانوا يقيمون للنيل احتفالات تشبه الأعياد، ولم يذكر المؤرخون عنها إلا شيئاً قليلاً، فمن ذلك ما قاله « بلين » المؤرخ الشهير « ان المصريين في عصره كانوا يقدمون الغذاء للتماسيح ويلبسونها بعض الثياب في وقت الفيضان ويلقونها في النيل فتبدو ألوان الثياب الناصعة في منظر بهيج يروق الناظرين

والذي لا شك فيه أن كل الاحتفالات الخاصة بالمهرجانات التي تقام لفيضان النيل سنوياً كانت بمنزلة فريضة دينية يحترمها الناس كاحترامهم للنيل وكان رؤساء النيل يقيمون لها الزينات المعتادة للأعياد العامة

وجاء أيضاً ما نصه « يستقبل الشعب المصرى بالفرح والسرور ظهور مياه السلسلة المقدسة فابتهاج النفوس وفرحها بمجىء النيل أمر طبعى ، ويجب أن يمدَّ فيضانه في مقدمة الأعياد التي بحلوها يهنئ المصريون بعضهم بعضاً

وجاء في أنشودة النيل المكتوبة في ورقة النسطاسى البردية ما نصه « أيها الفيضان المبارك قدمت لك القرايين والذبايح ، وأقيمت لك الأعياد العظيمة ، وذبحت لك الطيور واقتنصت لتحييتك الغزلان من الجبال ، واعدت لك النار الطاهرة ، وقدم لك البخور والنعم السماوية والمعجول والثيران، فتقبلها هدية شكر واعتراف بفضلك »

وجاء ذكر أعياد النيل في مائة للقرايين محفوظة في متحف فلورانس ويرجع تاريخها الى ملوك الاسر الثلاث الاولى

وقال « ماسبيرو » في هذا الموضوع « عند ما يصل الماء المقدس الى جدران مدينة « سين » يقدم الكهنة أو الحاكم أو أحد نوابه ثوراً أو بطاً ويلقيه في الماء في حرز من البردى مختم عليه ويكتب في الحرز الأمر الملكي الخاص بنظام الفيضان ومتى ترأس الملك نفس هذا الاحتفال نقشوا في الصحراء وسجلوا هذا الحادث تذكراً تاريخياً. وإذا تغيب الملك عن الاحتفال ناب عنه الكهنة باحتفال عظيم ، حاملين تمثال المعبود ساثرين به على ضفاف النيل والجسور مرتلين الأناشيد »

من المستندات الرسمية الباقية عندنا الآن شواهد السلاسل الثلاث ، ويرجع تاريخها الى عهد الملوك رعمسيس الثاني ، ومنفتاح ابنه ، ورعمسيس الثالث ، وهي تنقسم الى جملة أجزاء فبعد مقدمة رعمسيس الثاني تقرأ أنشودة النيل وخطاب الملك بالتهليل للمعبود ثم القرار الذي يحدد تاريخ الأعياد ويالحق به كشف القرابين وملخص ترجمته كالآتي :

« في السنة الأولى والشهر الثالث من فصل الحصاد ، واليوم العاشر في عهد المنير الشمس الملك القادر المحبوب من الحق ، صاحب التيجان حاكم مصر المنتصر على البلاد الجبلية حورس الذهبي المديد العمر المبارك ملك الوجهين البحرى والقبلى ، رعمسيس المحبوب من أمون أبو الآلهة الذى يمنحهم الحياة والبقاء والقوة كالشمس الى الأبد فليجى الإله الطيب النيل الذى ينجي النفوس بجوهره والثروة بشماته . أنت أيها الوحيد الذى تظهر من نفسك ولا يعرف أحد ما تحويه ، والكل يفرح بظهورك من مخبئك فيك تربي الاسماك العديدة ومنك تفيض الخيرات على مصر ، فأنت خلقت لأجلنا ، ويسر بك الناس والمعبود « نون » متى قدم له القرابين أهالى البلاد ،

وأتحدوا معه في فرح التحية بقدم النيل المضيء . فخبراته على البلاد تستفيض
من صنع يديه وتتدفق ببركاته »

« وقد أمر الملك بتقديم القرابين لأبيه أمون رع ملك الآلهة مرتين في
السنة في زمن مياه السلسلة المقدسة وفي مكانه المكرم الذي لم تكن قبله مياه .
حياة وسلام وقوة

« فتقدم القرابين في اليوم الأول من شهر سايت وفي الخامس عشر
من شهر توت وفي الشهر الثالث من فصل الفيضان والخامس من شهر أيب
كضريبة سنوية »

« ويلقى في النيل عجل أبيض وثلاث اوزات وهدايا ثمينة (لا بنت
عذراء كما يزعمون) ثم الكتاب الشامل لتفصيلات المهرجان وأنواع الهدايا
للإله أمون رع ملك الآلهة ورب مدينة طيبة »

ومها اختلف المؤرخون في تواريخ أعياد النيل ونماذج احتفالاتها فلا
تخرج عباراتهم عن قول واحد وهو بذل جهدهم في مظاهر الأفراس عند مبادئ
الفيضان ، والى ذلك أشار العالم الأثرى « دي روجيه » اذ قال : « في اليوم
الخامس عشر من شهر توت جاء فيضان النيل في سلسلة وفي ١٥ أيب صعد
النيل فقدمت القرابين والهدايا للمعبود « حمبي » وفي ذلك اليوم كانوا يلقون
له ميثاقاً مكتوباً من ديوان الملك فيقبل النيل هذا العهد ولا يتخلف عن
وعوده فيمنح مواهبه أرض عبيده المؤمنين »

وفي نتجة « مدينة هابو » تاريخ أعياد يحتفلون بها ويظهر أن قدماء
المصريين كانوا يحتفلون في يوم ٣٠ من شهر كيكحك بعيد الصليب . قال
« بروكش باشا » انهم كانوا يحتفلون بهذا العيد في جملة مدائن مثل ادفو
ودندره واسنا

وكانوا يجمعون لمقياس النيل عيداً خاصاً فيحمل مقياس النيل في معبد
سيرايدس

وروى « سنيك » الفيلسوف الروماني ان المصريين في عهد الرومان
كانوا يلتقون في نهر بيلاق القرابين ويلقى الحكام بعدها هداياهم من الذهب
وأشياء الحلوى

ولا زال تقليد الاحتفال باعياد النيل باقياً الى يومنا هذا ، ولا نثر على
نص مصرى يؤيد ما نسب الى قدماء المصريين عن تقديمهم ذبيحة بشرية
في حفلة فيضان أو لأجل أن يجود النيل على البلاد بفيضه السنوى

ويظهر أن منشأ هذه الخرافة قصة رواها « بلوتارك » المؤرخ اليونانى
وتناقلها عنه غيره من قومه ومن الرومان ومن العرب اذ قال « اعتماداً على وحى
اجييتوس ملك مصر قدم ابنته قرباناً للنيل ليخفف غضب الآلهة وأنه بعد
فقد ابنته ألقى بنفسه فى النيل

فهذا القول هو أصل الاعتقاد بتقديم فتاة عذراء قرباناً للنيل المعبود
كل سنة . ويكفى أن البداهة الذوقية تكذب هذا الزعم بعد العلم الراسخ بما
كان للمصريين من القدر المعلى فى المدنية ورقة الشعور وسمو العواطف
حتى مع الحيوانات المعجم ، فبالأولى تسمئ سحبيتهم عن القاء فلذة كبد من
اكبادهم فى مجرى المياه المتلاطم الأمواج التى لا تبقى شيئاً من ارهاق النفوس
واختطاف الأرواح من أجسادها ، ولم يكن هناك أقل نسبة عقلية بين
اقتراف هذا الجرم وانخداع النيل بارتكابه

أما ذكر عروس النيل بلفظة « ريت » المشار إليها فى ورقة « هريس .
البردية » فيكفى فى اثبات أنه خرافة وخطأ ان لفظه « ريت » هو علم على أحد

أشكال النيل المؤنثة وليس علماً على عروس كانت تلقى في النيل كما زعم بعض المؤرخين . والقول باستمرار العادة بالهدايا الذهبية والطيور والحيوانات لا ضرر منه ، وغاية ما يلتبس به المذرهو التفاؤل بأن يكون الفيضان سخياً على مجموع الخلائق يجود بأهم ما تشتاقه النفوس

في العصور الوسطى

استمر المصريون على ما ألفوه من عادات الأعياد ورسوم الحفلات ، ولم يغيروا حقاوتهم بها مع ما طرأ على ترتيباتها من التفاوت في الرونق والأوضاع ومظاهر الزينة ، فهي كانت عرفية ووراثية وقومية ودينية الى أن جاء الفتح الاسلامى بمصر ، فحكا كثيراً من العادات ولا تزال بعض آثارها باقية الى يومنا هذا . وفي كثير من المتاحف بالمدائن الشهيرة بعض بقاياها الدالة على ما كان للنيل من المكانة في النفوس ، والنيل من حيث هو منبع الفيض والخيرات يبقى بمكائنه العمرانية في ارفع مراتب التجارة والاحترام . فهو كما تقدم كأنه انتزع من مساحات الصحراء كميات وافرة كانت مجدبة فالبسها حلة الرغد والسخاء وجعل القاطنين بها أغنياء بعد الفقر ، وذوى سعة ويسار بعد ان كانوا في حضيض الفاقة والفضنك

ولازال الاحتفال بمهرجان النيل متبعاً في نوعيته الى الآن فكان المصريين في محافظتهم على تقاليد آباؤهم افترضوا على حكاهم احترام تقاليدهم وعقيدتهم في النيل المقدس

وكان من عقيدتهم في عهد الفراعنة ان دمعة المعبودة اريس تنزل في النيل وتسبب فيضانه فبقيت هذه العقيدة الى العصر المسيحي ، وظن الاقباط أن النيل يفيض بنقطة إلهية تنزل من السماء ، ونجد في النتيجة السنوية القبطية

أنه قبل انقلاب الشمس في الصيف بأربعة أيام أي في اليوم الحادى عشر من شهر بؤونه يحتفل بعيد ايلة النقطة السماوية التي تطهر الهواء وترفع الطاعون عن الأرض ، ويقول البعض إن جبرائيل رئيس الملائكة يصلى قبل ذلك بثلاثة أيام ويدعو حتى تفيض مياه النيل فيسجد ويتوسل الى ربه بأن يفيض النيل وينزل الى الأرض المطر والندى ، ويحمل في يديه سيفاً لطرد الشيطان واليه فيما يقولون يرجع فضل نزول النقطة الالهية

فلاقباط حافظوا على تقليددم القديم حتى أتت النصرانية وجعلوا يوم نزول النقطة عيداً وقد جاء في بعض النصوص ذكر النقطة السماوية وليلة موج الدموع وان قصة قتال جبرائيل رئيس الملائكة للشيطان تشبه كثيراً قصة حورس المنتقم لأبيه من ست ، وأبيه ازوريس رمز الأرض السوداء المخصبة وست رمز الصحراء المحجبة

ومتى حان وقت نزول النقطة يتوالى الفيضان ويرتفع الى درجته المعلومه ، من العادات المألوفة الى اليوم أن بعض الناس اتخذوا المناداة للتبشير بمبادئ الفيضان في أوائله سبباً للارتزاق بما يسديه اليهم الناس عند هذه البشرى ، فيهنىء بعضهم بعضاً بحلول موسم النيل كالتهنانى المألوفة في الأعياد السنوية ثم يأتى عيد زواج النيل والاحتفال بقطع الخليج والقول بزواج النيل مبنى على تلك القصة الخرافية قصة القاء فتاة في النيل تلك الفتاة التي استبدل بها الى عهد قريب تمثال من الخشب يحلى بملابس ويزين بالقصب ونحوه وأما الاحتفال بالنيل والقاء النقود ونحوها في مجراه فهذا على سبيل التفاؤل كما تقدم . ومن التماثيل الموجودة في متحف اللوفر تمثال رمزى يمثل النسر من صنع مدينة الاسكندرية وهو يشبه أحد تماثيل النيل المحفوظة إلى الآن بمتحف الفاتيكان فى رومه

في المصور الحديثة

نقل المقرئ في خطه عن ابن الحكم^(١) من اخبار مصر أنه في سنة ٢٣
بعد الهجرة لما افتتحتها عمرو بن العاص جاء إليه الأقباط وقالوا ان النيل سنة
لا يجرى إلا بها، قال وما هي فقالوا اذا خلت اثنتا عشرة ليلة من شهر بؤونة
من الشهور القبطية عمدنا الى جارية بكر مليحة نأخذها من أبيها غصبا ونجعل
عليها الحلى والحلال، ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم عندنا. فلما سمع
كلامهم قال هذا لا يكون في الاسلام أبداً، فأقام أهل مصر أربعة أشهر بؤونة
وأيدب ومسرى وتوت لم يزد فيها النيل لا كثيراً ولا قليلاً. ولما رأوا ذلك
هموا بالجللاء عنها، ولما رأى عمرو بن العاص منهم ذلك كتب الى أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فلما وصل اليه ذلك الكتاب وعلم مافيه
كتب بطاقة وأرسلها الى عمرو بن العاص وأمره أن يلقها في نهر النيل، فلما
وصلت اليه تلك البطاقة فتحها فاذا مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك ،
أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله تعالى هو الذى
يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك » فاما وقف عمرو بن العاص رضى الله
عنه على مافى البطاقة ألقاها في بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد، وعيد
الصليب يكون في السابع عشر من شهر توت فأجرى الله تعالى النيل في تلك
الليلة ستة عشرة ذراعاً في دفعة واحدة

وروى بعض السائقين بمصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر
بعد الميلاد أن المصريين استبدلوا بالفتاة البكر عروساً من الخشب يلقونها في

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى صاحب كتاب
فدوح مصر وغيره وتوفى سنة ٢٥٧ هـ (سنة ٧٨٠ م)

النيل وهذه الآثار باقية من العهد القديم واليك وصف الاحتفال :
يتألف الموكب من حاكم البلد وطوائف عديدة من الأقباط والعلماء
والأعيان ورجال الدين والبطرك وفريق من رجال الاكليروس وتتبعهم
الموسيقى وخلفها الجماهير يصفقون ويترنمون بالأناشيد ، ثم يلقون العروس
في النيل وقت فتح الخليج

ثم اتبع الأقباط عادة أخرى في الاحتفال في عيد الشهداء الواقع في
بشنس فكانوا يلقون في النيل أصبع أحد أجدادهم موضوعاً في علبة كما رواه
المقريزي وذكر أن السلطان قلاوون حاكم مصر أبطل هذه العادة سنة ٧٠٢هـ
ولما أتى بونابرت مصر ترأس حفلة النيل باعتباره أكبر حاكم للبلاد ولا يزال
المصريون يحتفلون بوفاء النيل ، ويقومون الأفراح في كل الجهات احتفالاً
به فيكون بالرونق والزينات عيداً مشهوداً

وروى المؤرخون اليونانيون أنه كان لكل اقليم من الأقاليم المصرية
القديعة آلهة خاصة إلا أن جميع القدماء أجمعوا على تقديم فرائض خاصة للنيل ،
وكان لفيضانه العجيب احتفال سنوي كعيد ينتهج به جميع أفراد الشعب
وكان من عقائد القدماء أن لكل شيء روحاً وحياة وإرادة وشخصية
سامية من هبات المعبود الأعلى ، وان النيل يشفي من الأمراض وأن الأقباط
والمسلمين وان كانوا أبطلوا الاعتقاد بألوهية النيل ، لكنهم لا يزالون
يصفونه بقولهم النيل المبارك . وفي زمن فيضانه كان البطرك يذهب الى النيل
مصحوباً بحاشيته الى مصر العتيقة ويلقى في النيل صليباً من الفضة . وكان
الترك يحتفلون به رسمياً ، ومتى انتهى الاحتفال كانت الجماهير تلتقي في النيل
الحبوب والثمار والسكر والخبز والدرهم ويغتسل الأطفال في مياه النيل ،
وبعض الناس يغتسلون أيضاً ببول ماء يمر في الخليج طلباً للشفاء وازالة العقم

وكان من المتبع قبل اليوم المحدد لجعله يوم وفاء النيل ان يضعوا في مصر
العتيقة تماثيلين كبيرين عليهما أنوار مركبة على منصة من الخشب مسندة على
مراكب وهذان التمثالان يمثلان رجلاً وامرأة ويسميان العروسين
وكان من عاداتهم صنع عروس أخرى من الطين ويلقونها في النيل يوم
الفيضان

وقال « هيردوت » ان المصريين كانوا يكرهون ذبح الحيوانات فمقول
جداً أن يترفوا عن ازهاق الأرواح التي قيل إنهم يقدمونها كقربان وضحية
طلباً لوفاء النيل

وليلاحظ ان كل أمة يدخل عليها دين جديد ينشر عنها خرافات كثيرة
واذا تأملنا رواية ابن الحكم والناقلين عنه كالمقرئى وغيره ، يتضح لنا انها
خرافة مخترعة . نعم ان ابن الحكم نقل هذه الرواية عن اليونان كما نقل غيره
اكاذيب أخرى في كتاب عنوانه « الأنهار » نسبوه الى « بلوارك » ودونوا به
ان أحد ملوك مصر لما أبطأ فيضان النيل في بعض السنين ألقى ابنته فيه بأمر
الآلهة . واشتهر في الروايات ان الاحتفال يمثل (زواج النيل الذي هو
ازوريس بأرض مصر التي تمثل ازيس) فالمرجع في كل الروايات الى تصور
خيالى ليس إلا



رسوم النيل في الآثار المصرية

قد اطلع القارىء على تفصيلات وافية تبين أن حياة الشعب المصرى تتوقف على تحسين أحوال الري وانتظامه ، ليكون من فيض النيل الخير الشامل واغداق الثروة ورواج الأحوال التجارية . وقد نقش اسم النيل في جميع المعابد دلالة على أن القدماء كانوا يعتبرونه إلهاً يمنح الحياة والسعادة . وجاء في الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى « أن الآلهة تشترك في إسداء نعمه » ونقشوه في بعض المعابد كتمثال انسان واقف يحمل القرابين ويهبها بسخاء لجميع الخلائق من انسان وحيوان

وفي كثير من الأمكنة ترى رسوم الاحتفالات بوفاء النيل لاسيما في معابد ادفو ودندرة . وهناك ترى النيل ماراً بادراج السلم ، خارجاً من ناوسه كما يخرج كل سنة من مجراه لزيينة الدنيا وخصب الأودية وتدييح وجه الأرض بالنباتات المتنوعة التى تستفيد منها الناس الغذاء والحاصلات المتنوعة ويقننون الثروة فكان أرض مصر مستودعات للنفائس الكونية بأنواعها تجوز منها على كل البقاع بما تحتاجه

وهناك أيضاً رسم آخر يمثل النيل خارجاً من سلم (كما يخرج من مجراه) ليلاً الأرض بالحبوب معبراً عن إعطاء الآلهة الحياة والهناء لأن من نباتات النيل تتقدم حياة الحيوانات والانسان والطيور الخ .

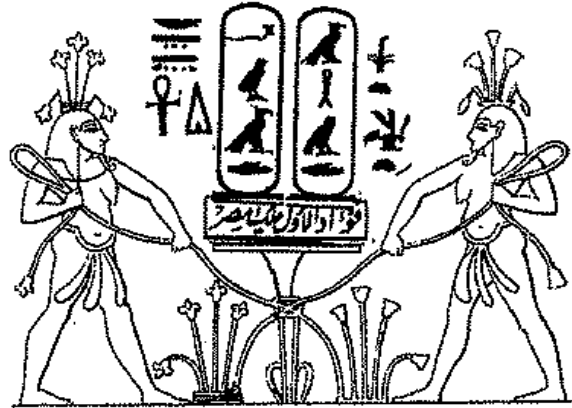
وكان النيل يخاطب البلاد بلسان حاله بأنه مصدر رخائها وينبوع حياتها ، وانه يجود بخيراته على كل من تقلهم أى أرض سرى إليها فيضه ، فيمنحها نعماً

مزيدة وخيرات متجددة، ويؤدى للآلهة المحترمة كل شعائر الأجلال
والتقديس

فالنيل بهذا الاعتبار من المعبودات الثانوية بدليل أنهم كانوا يسمونه دائماً
في المعابد بالجزء الأسفل وأنه كخادم يهيبه جميع الأشياء الجيدة والقرايين التي
يقدمها للأرض ومن عليها

ووجد في تمثال محفوظ بالمتحف البريطانى بالجزء المصرى نقوش تمثل
الملك ششنى وحوله العبارة الآتية « يقول حعبى النيل ابن الآلهة ومصدر النمو
الذى يفيض على الوجهين القبلى والبحرى بخيراته المتدفقة فتسعد بها الحياة،
وتكشف الشدائد وتنصب منه المياه على الجبلين والحوضين كيف يشأ، ويعود
متى أراد بعد أن يملأ المدائن والقرى بالموثن والحاصلات الزراعية

فكان هذه النقوش تصف مزايا النيل التي امتاز به واديه في الخصب
والرخاء وجعلته مصداق قول القائلين بأن النيل أب الآلهة والبشر واذا كانت
جميع الكائنات تستمد حياتها من مصدر إلهى فالنيل هو أكبر المظاهر الباهرة
لهذا المصدر الأسمى .



رسم النيلين نيل الوجه البحرى (الى اليمين) ونيل الوجه القبلى (الى اليسار) وهما يحملان
علامة الاتحاد وعليها اسم ملكنا المعظم فؤاد الاول بالفتين المصرية القديمة والعربية

أنشودة النيل

لقدماء المصريين

من لوازم الفطرة الراقية ابتكار الأناشيد في المناسبات التي ترتاح
النفوس فيها الى الترنم بما يستطاب لأجلها افتخاراً واستلذاً واستبقاء
لحسن الأحذوثة، فيتداول الناس الأناشيد كلما تجددت الذكرى
للاحتفالات، والنيل عند قدماء المصريين قد اختصوه بما ألفوا من مظاهر
الافراح ودلائل المسرات عند فيضانه ومواسم أعياده وقد خصوه بأناشيد
رائعة تعرب عن شدة شعورهم ومن بينها الأنشودة التي نغمها في عصره الشاعر
المصرى القديم ووجدت مكتوبة في لوحين على الورق البردى معروفين
بورقتي ساليير وأنسطاسي وهما من مجموعة الأوراق البردية المحفوظها الى الآن
في المتحف البريطاني وترجمها العالمان الأثريان الشهيران ماسيرو وجبس وهما
الذان نقلها من الشعر المصرى القديم . وترجمتها الى العربية نظماً من الرجز:

(١)

نسدى الى النيل سلاماً طراً	لأنه قد جاءنا مباكراً
اليوم عيد النيل فى بشره	فكلنا تسرنا لقياه
النيل يحيى فيضه بلاده	وهى له تلازم العباده
منظره يروق للأبصار	وسره معجزة الأفكار
النيل يأتينا من الظلمات	لئلا الأكوان بالخيرات
يروى نداء الضر الخدائق	وينبت الأرزاق للخلائق
كأنه يأتى من السماء	لئمنح الحياة للأحياء
يحيى موات الأرض فى النواحي	كأنه من حاملى فتاح
يجود بالخير (لسب) محسناً	كما (لنبرا) قد أقر الأعينا

(٢)

النيل رب السمك المحبوب يأتي به من عالم الغيوب
ويخصب النبات في الفيضان والزهر والريحان في البستان
ينبت قمحاً وشعيراً جيداً ولن يصد النيل عنه أحداً
بالنيل ينجو من شقاء الدهر كل فقير من أهالي مصر
في نعمة النيل لهذا الوادي سعادة الحكام والأفراد
والبطء في الفيض يضر الخلقا وينضب الرب الرحيم حقاً

(٣)

فيوضه تأتيه من أتوم فنجتني من خيره المقسوم
وتنتفي أوهام كل خائف بالنيل فهو مصدر اللطائف

(٤)

كأنك الخالق للأشياء وما منح الضعاف بالنعماء
ومن نذاك تمنح قربانا فلا نخاف بعده هوانا
كل غنى منك يرجو نعمته ويمنح المحتاج منها رحمته
فأنت للغنى والفقير ملجأ كل الخير والتيسير

(٥)

أنت رئيس سفن الحياة تسرى بها لساحل النجاة
أسرار مجراك علينا خفيت لكن مزاياك لدينا عظمت
فلست محتاجاً الى قربان ولست تخشى خدع الانسان

(٦)

ولست محتاجاً الى مكان فأنت رب الفيض والاحسان
يالقك بالتصفيق عند اللقيا مستبشرين كل من في الدنيا
فأنت تحيي مهجة الظمان وحارس الملوك والتيجان

(٧)

منك المعونات على الدوام مقرونة بالحمد والاعظام
وأمرك المطاع في البلدان تقبله النفوس بالاذعان
وتعلا القلوب حبا صادقا وتجعل الكون بشكر ناطقا
اولاد «سبك» منك في افراح واهل «نيق» بك في انشراح
كأنما دائرة الموجود أمام مجراك من الجنود
يعنى العباد عن شقاء الجهد فيضك اذ يأتي بكل رغد

(٨)

يضىء منك الماء حين يبدو بعد الظلام وهو ما توذ
لم تتخذ فيما ترى أعوانا ولم تدع لحاكم سلطانا
فأنت روح الكل في الوجود أنعم بفيض النيل من مقصود

(٩)

تأتي وتمضى طبق ما تريد وكم تطيع ربها العبيد
وكل ثوب من هموم ماضية تنزعه بشرى التلاقى الزاهية
فأنت للسقام نعم البلسم ومنك للجميع تصفو الأنعم
تجيب بالفيض رجاء الامة وتصطفئها بعميم الرحمة
يحوى ثراك أنفس المعادن فتكثر الأموال في الخزائن
لكن بالقمح حياة الناس وليس بالأموال في القرطاس

(١٠)

في عيدك الصغار والكبار تطربها الطبول والمزمار
ويستطاب الأنس والسرور ويتباهى بالصفاء الجمور
فأنت حقا زينة البلاد ومصدر الخيرات والاسعاد

(١١)

وكما جئت الى العواصم أسديت فيها أعظم المغانم
فيفرح الغنى والفقير ان لم يعق فيوضك التأخير
وهكذا مسرة الأتوام يحبونها في سائر الأعوام

(١٢)

نهدي اليك الطيب والعجولا وكل قربان نرى مقبولا
وتوقد النيران والبخورا ونملاً الدنيا بها سرورا
تخرج من (بنيو) وتأتي طيبه كستهم زائر حبيبه
وكل ما يحويه سر النيل لم نكتشف منه سوى القليل

(١٣)

مصر تعد النيل رباً سامياً فاجعل لنا بالفيض حظاً نامياً
واجعل بنى النيل على سواهم يرقون شأننا رغم من عادام
أمين . أمين . أمين

وكان قدماء المصريين باعتبارهم التزم بهذه الأنشودة يعتنون بتوقيعها
على أوضاع الآلات الموسيقية ليكون لوقعها في النفوس طرب النشوة
الموسيقية والانشراح القولى، ولا زلنا الى العصر الحالى نتلقى من عوام
المنادين الذين يطوفون وحوطهم الغلمان في الأزقة والحوارى ما هو بلا شك
صدى متتابع من ترديد هذه النغمات أيام الفيضان

ومن اولئك المنادين من يقتصر فيما يلقيه على غامانه بأناشيد مختصرة
ونغمات مقتضبة، ومنهم من يجعل كلماته على نسق السجع المرصع الذى طراً
عليه التحريف العامى فى النطق والتلحين بما لا يخرج فى معناه عن القول
الآتى : إنك أيها النيل المبارك صاحب القوة العظيمة ومنك تتدفق الكنوز

وتفويض الخيرات على أرض مصر، بارك الله في فيضانك وأدامك متدفقاً
بالخير والبركة على البلاد والأودية والبساتين والمزارع يشكر نعماءك الانس
والحيوان والطيور في أوكارها ، والحيتان في أغوارها .

فاذا كانت عبادة النيل بصفته الهاً كما كان يعجده به قدماء المصريين
في حفلاتهم ومعايهم فقا بلته بالتحية والبشاشة والفرح والسرور عند مبادئ
أشهر فيضانه آثار باقية من المواطنين القومية لدى الأمة المصرية بصرف
النظر عن اختلاف المعتقدات والتطورات المصرية

الشعر العربي

في مدح النيل

علم القراء أن النيل من أجلّ المواهب الإلهية على هذه البلاد ، وأن
هذه الهبة الأبدية لم تستطع أيدي التغاب الدولي بخسه حقه من الكرامة
والاحترام فهو ينبوع الحياة للأرض ومن عليها . فمع تعاقب الدول في
الاستعمار والتملك بقى النيل متسامياً على كل قوة يمنح البلاد من الرخاء والسعادة
ما يشجعها على معاصرة الجبارة ومكافحة طوارئ الدهور حتى أن اليونان
والرومان لم يحدوا ما للنيل من القوة الفعالة في المزايا المراتبية التي اختصت
بها تربة الأراضى المصرية . وأتى العرب بدمهم فأجادوا وأبدعوا في وصف النيل
والتحدث بمواهبه وتقديره لما أبرزوه من آيات البلاغة في هذا المضمار نشبت
المقتطفات من قصائده مطولة تناقلتها التواريخ العربية كالمقريزي وغيره ومنها قوله :

كان النيل رزقهم ولب لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

قال المسعودى فى تاريخه قال بمض الشعراء يصف مصر
مصر ومصرأ شأنها عجيب ونيلها يجرى به الجنوب

قيل فى مصر عدة قصائد ومقطعات فى كل سنة منها ما قاله الشيخ صلاح
الدين خليل ابن ابيك الصفدى

لم لا أهم بمصر وأرضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من ماها إن تدفق

وفى المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا ومساكنها هم الأنام قبايلها بتقيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

وأبدع منه ما قيل فى المعنى أيضاً لابن سلام

لعمرك ما مصر بمصر وإنما هى الجنة العليا لمن يتذكر
وأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كثر

وللقاضى شهاب الدين احمد بن فضل الله العمري فى المعنى

ما مثل مصر فى زمان ربيعها بصفاة ماء واعتدال نسيم
أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها لما نظرت الى جمال وسيم
لمصر فضل باهر لعيشتها الرغد النضر
فى كل سفح تلتقى ماء الحياة والخضر

ولابن الصايغ الحنقى فى المعنى واجاد

أرض بمصر فتلك أرض من كل فن بها فنون
ونيلها العذب ذاك بحر ما نظرت مثله العميون

وغيره في المعنى

النيل قال وقوله اذ قال ملء مسامعي
في غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى
وعيونهم بصد الوفا أقلعتها بأصابعى

وللشريف العقيلي في المعنى

أحن الى الفسطاط شوقاً وأننى لأدعو لها أن لا يجل بها القطر
وهل في الحيا من حاجة لحياتها وفي كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروساً والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

ولو خشية الإطالة لذكرنا من هذا نبذ كثيرة . ومن أراد الاكثار من ذلك
فليراجع تاريخ « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » فقد ذكر من ذلك
عدة مقطعات عند وفاء النيل في كل سنة من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة تأليف جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن المرحوم تعرى بردى الاتابكي

عبادة النيل

المعبود أزوريس هو النيل — النيل السمائي والنيل المائي

النيل على شكل انسان

معلوم أن قدماء المصريين كانوا على جانب عظيم من التعلق بمعتقداتهم الدينية ، وكانوا يعملون لكل شيء عظيم النفع إلهاً خاصاً يقدمون إليه عبادتهم في أوقات يحدونها لما اشتهر عندهم من خواص هذا الشيء ، فكانوا يقيمون للنيل العبادات المتعددة في أوائل الفيضان وفي عيد الصليب وغيره مما مر بنا إيضاحه

وقد استعمل المؤرخون اليونان والرومان حد التطرف ومنتهى الغلو فيما تكلموا به عن معتقدات وعبادات المصريين مع كونهم لم يعرفوا لغة البلاد الحقيقية التي تمكنهم من الوصول الى سر هذه العقائد والعبادات ، ونشروا في مؤلفاتهم افتراءً شنيعاً على المصريين وقالوا إن عبادتهم كانت قاصرة على الأصنام حتى قال بوسيديه في كتابه (خطاب في التاريخ العالمي الجزء الثالث) « كان كل شيء إلهاً في مصر ما عدا الله تعالى » ولا ينبغي أن تأخذنا الدهشة لهذا الافتراء الصادر عن جهالة قائله ، فإن الزائر المتحرف عندما يشاهد الآثار الموجودة ، ويرى تماثيل الآلهة ونحوها يعتقد أن تلك الطائفة في معتقداتها أسراراً باهرة وآداباً سامية ، فما كانوا يعظمون آلهتهم وولوكهم إلا لإعتقادهم فيها الوسيلة والرفق لدى الله الذي هو الاله الاكبر الذي تدين الكائنات لعظمة قدرته

ولم يكن اشتغال الشعب المصرى بالابداع فى الرموز والتصاوير الآمن باب التوسع فى الفراسة الذهنية والتفنن الذوقى فى اتقاء ما يعتقدون به نوال القرنى لدى هذه الآلهة الثانوية .

وقد قال اكايمنس الاسكندرى الذى جاء مصر فى عصور الأضء جلال لديانة القدماء الحقيقية انهم كانوا يصورون آلهتهم بمنظر وحش يتفرغ على بساط من أرجوان ، وانهم كانوا يقدمون للنيل فى مواسم الفيضان ونحوه عبادة خاصة باعتبار أنه المصدر الأقوى لحياتهم الزراعية والعمراية

وقد عثر على حجر يرجع تاريخه الى الأسرة الرابعة منسوب لابنة الملك خوفو تكلمت فيه عن عبادة المصريين للنيل ، ولم تعلم لنا منه الأماكن التى كانت معبدة لهذا التعبود وكرت عبادته فى مدينة ممفيس

وكان بيت النيل (ولعله منبعه) يدعى فى المدن الأخرى باللغة المصرية القديمة (پاحمى) وأشهر هذه المدن تسمى (هاحمى) أى قصر النيل وعلم مما اكتشف أخيراً على حجر من السرايوم أن هذه المدينة هى مدينة هايوبوايس . ووجد منقوشاً على مائدة للقرايين محوطة اليوم فى متحف فلورانس ويرجع تاريخها الى الأسرة الثالثة عبارات يبيان الأحتفالات الدينية التى يقيمها المصريون أكراماً للنيل المبارك وان عبادته يرجع تاريخها الى العصور الأولى وكان عند قدماء المصريين معدوداً من الآلهة الثانوية

والحقيقة ان القيام بالعبادات للنيل كان عاماً بأنحاء القطر ولم يكن محتصاً بجهة دون أخرى ، فقط كانت بعض البلاد تمتاز بفخامة معابدها ومبانيها وتقشوا فيها احتفالات النيل مثل معابد الكرنك وادفو وندرة ومدينة هابو وكان النيل يمثل فى هذه المعابد على شكل إله طبيعى ويعبدونه باعتقادهم

فيه الاقدمية والدهرية

وكانوا يمثلونه بصفته إلهًا مقدسًا (حمبي) ويلقبونه إله الخصب والاب
المرجى على شكل رجل في ريمان الشباب ممتلىء سمًا ونشاطًا كرجل مترف
غنى من العظام يعلق على تمثاله حليًا في الصدر يشبه ثدى المرأة وبطنه مطوية
من الشحم ونفثاه ثابتان مدورتان أشبه منظر بالعادة الحسناء ونقشت فوقه
هذه الكلمات باللغة المصرية القديمة (عنج ، اوزا ، سنبل) ومعناها الحياة والصحة
والقوة . وهكذا كان المصريون يمثلون رسم رجالهم الأغنياء العظام

ومن تماثيل النيل ما هو مختلف اللون فبعضها احمر وبعضها أزرق
يحمل على رأسه النباتين البردى واللوطس رمزًا الى الوجهين القبلى والبحرى .
وبعض هذه التماثيل مرسوم على جدران معبد سبتى الاول باييدوس ومعابد
ادفو وندرة لأن عبادة النيل كانت منتشرة في جميع الأقاليم كما تقدم

وترى بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى الغربية تماثيل لنيل الوجه القبلى
والنيل لوجه البحرى حاملين الأسماك والطيور والأزهار ليقدمها هدية للملك
وكثيراً ما يمثل النيل فى كتاب الموتى بصفته الرمزية . وقد نقش على صفحة
سلسلة أن النيل هو ابو الآلهة وأنه خرج من نفسه

ومن الغريب ان قدماء المصريين شيّدوا معابد كثيرة لآلهتهم ولم يقيموا
معبدًا للنيل ، بل تقرأ اسمه منقوشًا على جدران المعابد وقواعد المسلات وكان له
فيها رجال يتخصصون لخدمته .

وروى هيردوت أنه كان من عاداتهم انشال جثة من يموت غريقًا أو
يبتلعه تمساح ودفنها بالإكرام والتعظيم

وكانوا يمتقدون ان النيل المأولة يقيم فى جزيرة بيجا (وان خزائنه) منبعه
موجود هناك وكانوا يمتقدون انه آت من نون وهو الفضاء الاول الموجود
وانما ليس له ابتداء ، وان الإله حمبى يتحد مع اريس فى ضمانه البقاء الأبدى له

ولهذا اعتادوا ان يجعلوا اليد اليسرى لمن يموت في ست لفائف ويرسمون عليها اسم النيل والمعبودة ازيس وفي بعض المدارس اللاهوتية ان النيل (حمي) باتحاده مع ازيس زوجة المعبود اوزوريس) هو الفيضان الذي يخصب ارض مصر واعتقد قدماء المصريين ان الدار الآخرة تشبه الحياة الدنيا وانه يوجد بها نيل كنييل مصر ، واعتقدوا ان جنتهم واد منحصر بين جبليين يفصلهما نهر تمر فيه سفينة الشمس وان مياهه تمر من الغرب الى الشمال حتى منتصف المسافة ، وتنزل في المجرى ذاته من الشمال الى الغرب ، وان ازيس بكت زوجها اوزوريس في هذا النهر . ولما نزلت فيه مدامعها تفجرت مياهه وسببت هذا الفيضان الأرضي ، وكانت المياه السماوية تحوط الجنة والشمس تطوف حول مجرى هذه المياه التي تغطي هذه الدنيا تماماً وتفصلها عن السماء ومتى اختفت الشمس في الأفق تمر سفينتها في المياه السماوية وان سفينة الشمس تمر بالليل في وادي الأموات ودعوا النيل الشهير (الجندى) وان الأموات في الدار الآخرة تمر في سفينة الإله رع ومن هنا يتبين للقارىء انه لم يكن عندهم سوى نيلين النيل السماوى والنيل الأرضي وهو نيل مصر

آلهة الأنهر - ثالوث بيبلاق - العجل أيس وسيرايس

قصص خرافية عن النيل - ما أشيع عن النيل

كما اعتقد المصريون في النيل مزايا الألوهية ولقبوه أنه أب الآلهة وأنه الاله حمي كانت لهم أيضاً آلهة أخرى لأنهار كثيرة ورؤوسها على أشكال أكباش وآلهة الشلال وثالوث بيبلاق

فمنها اوزوريس اله مندمس وخونسو اله الشلال (وحرشافيتو) اله مدينة

هيراكليوبوليس الكبرى وكل منهم هياً قسماً من النيل في دائرة المنطقة
المسماة باسمه لتستمد بموناته وفيوضاته حظها من الخصب والرخاء



فتاح إله مدينة ممفيس
مخط الجسم والأصل بالمتحف المصرى

قال هيردوت كان أهالى مهندس
يكرّمون كثيراً جنس المعز . واذا ماتت
واحدة من فصيلتها ، أقاموا لها حداذاً فى
كل إقليم . ولفظة مهندس كلمة مصرية
قديمة معناها تيس ، وكان مرشافيتو
معبود هيراكليوبوليس الكبرى ومعبود
النيل أيضاً وثالوث بيلاق هو خونسو
وأثوكيت وساتيت وخونسو كلمة مصرية
قديمة معناها رئيس البنائين وأثوكيت
معناها الحاضنة وساتيت معناها رامية
السهام

وثالوث بيلاق يرجع تاريخه الى أقدم
المصور . وكان خنوم أحد الآلهة المعبودين
فى ذلك الإقليم يرسم فى جهة برأس كبش
وفى غيرها برأس آدمى واسمه القديم توم
وفى عصر البطالسة صاروا ينطقونه بلفظ خنوم ومعناه جمع

وقد شبهوا فتاح إله مدينة ممفيس بالنيل وأنه يشبه أزوريس فى كونه
كالشمس الليلية ، وأنه الإله الأول

والعجل أيدس من آلهة النيل أيضاً وقال رولين قد أذاعوا عن العجل

أييس أنه يجمع بين الحيوانات وشيدوا له المعابد وكانوا يقدمون له فروض الأكرام فإذا مات يحزن له جميع المصريين ويقيمون المآتم ثم يبحثون عن يختارون بديلاً منه بعلامات خاصة ويميزونه بفرقة بيضاء في جبهته على شكل الهلال وعلى ظهره رسم صقر وعلى لسانه رسم جعل (جمران) فتى عشوا على من تتوفر فيه هذه الصفات اتخبوه وبدلت أتراحهم أفراحا



العجل أييس
الاسل بالمتحف المصرى

وقال بلوتارك ان العجل أييس هو الصورة الحية لأزوريس ولا يتجاوز عمره ٢٥ سنة . فتى بلغ هذا السن أماتوه وألقوه فى النيل بكل اجلال واحترام ودفنوه فى السرايوم وموته يصبح أزوريس . وكلمة سرايوم مأخوذة من اسم (أسرحمى) الذى حرفه اليونان الى لفظة سيرايس

وترجع عبادة العجل (أييس) الى أقدم العصور التاريخية وقد ذكرت فى شاهد لابنة الملك خوفو من الأسرة الرابعة وكانت عبادته أكثر انتشاراً فى عهد الأسر الثلاثة الأولى لاسيما فى عهد البطالسة . وقد وصف اكليمنس الاسكندرى والقديس اغسطينوس جمال هذا الإله وقالوا إنهم شيدوا له معبداً نفما اشتهر بمعبد السرايوم الذى كان احدى عجائب الاسكندرية فى عهد البطالسة

وجميع الرسوم والتماثيل تمثل لعقولنا مقدار عظمتهم العصرية وعنايتهم بان تبقى آثارهم مدى الأجيال تنبأ عنها الشعوب متمدحة بعظمة النيل واعظامهم له لأن كل دولة احتلت مصر سواء في العصور القديمة أو الحديثة تعترف بما للنيل من الأيادي البيضاء الخالدة في أعناق كل من شملتهم سعة واديهم المبارك

ذكر شيء من فضائل النيل

قال المقرئى : أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه فى حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لى سدره المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدره المنتهى وإذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات

وقد ذكر اسم النيل فى التوراة (يور) « تخرج من النيل البقرات التى رآها فرعون فى الحلم » (سفر التكوين الفصل ٤١ ، الأعداد ١ - ٣) « أمر فرعون ان يلقى فى النيل أبناء العبرانيين الذكور » (سفر الخروج ١ - ١٢٢) « ألقى موسى فى النيل فى سبت من الخيزران والتقطته ابنة فرعون » (سفر الخروج الفصل الثانى الأعداد ٣ - ٦) - « أخذ ماء من النيل وألقاها فى الأرض فتحولت الى دم » (سفر الخروج الفصل الرابع العدد التاسع) - « اخرج موسى من النيل الضفادع التى اطلقت اراضى مصر » (سفر الخروج الفصل الثامن الأعداد ٥ - ١٣)

وذكر الأنبياء اسم النيل فى كتاب العهد القديم (اشعيا الفصل ١١ العدد ٦) « مياه النيل مياه البحر » ويصف ارميا مجرى النيل فى الفصل ٤٦ الأعداد ٧ - ٨ وقال ناعوم فى الفصل الثالث العدد الثامن « كان هذا البحر سوياً لمدينة طيبة الخ

وفي التوراة وخلق فردوساً في عدن وجعل الإنسان فيه واخرج منه نهراً
ينقسم أربعة أجزاء فيسوق المحيط بأرض حويلا وجيحون المحيط بأرض كوش
وهو نيل مصر ودجلة الآخذ الى العراق والفرات . وروى ابن عبد الحكم
عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه انه قال نيل مصر سيد الأنهار سخر الله
له كل نهر من المشرق والمغرب فاذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل
نهر أن يمدّه فأمدته الأنهار بماؤها ونجر الله الأرض عيوناً فاذا انتهت جريته
الى ما أراد الله عز وجل اوحى الى كل ماء ان يرجع الى عنصره

وعن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه سأل
كعب الاحبار هل تُجد لهذا النيل في كتاب الله خيراً قال اى والذى فلق
البحر لموسى اِنى لأجده في كتاب الله أن الله يوحى إليه في كل عام مرتين
يوحى عند جريته أن الله يأمرك أن تجرى فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى
إليه بعد ذلك يا نيل غرّ حميداً

وعن كعب الاحبار رضى الله عنه أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها
الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان
نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة

وقال المسعودى نهر النيل من سادات الأنهار واشراف البحار لأنه
يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة

وقد قالت العرب إن النيل إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار
وإذا غاض زادت فزيادته من غيضاها وغيضه من زيادتها وليس في أنهار الدنيا
نهر يسمى بجرّاً غير نيل مصر لكبره واستبحاره

وقال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث وفي حديثه عم نهران مؤمنان
ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ
انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض
ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤونة وجعل دجلة ونهر
بلخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يسقيان شيئاً إلا قليلاً وذلك
القليل يتعب ومؤونة فهذان في الخير والنفع كالمؤمنين وهذان في نلة الخير
والنفع كالكافرين (٥١)



فهرست الكتاب

صفحة	صفحة
٦٦	٣ مقدمة الكتاب
٧٩	٥ منابع النيل حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم
٨٠	١١ خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء المصريين إلى يوليوس قيصر
٨٣	الرومانى بشأن منابع النيل
٨٨	١٥ بحث العالم القديم والحديث فى منابع النيل
٩٠	١٩ رأى العرب فى منابع النيل
٩٤	٢٨ أسماء النيل من النصوص المصرية القديمة
٩٥	٣٤ سيحور من أسماء النيل أيضاً
٩٧	٣٨ فيضان النيل وأسبابه عند قدماء المصريين
٩٨	٤٥ التنبؤات المصرية القديمة الخاصة بالنيل - ورقة انسطاسى البردية أو سفر أبوور المتنبى المصرى القديم منذ ٤٠٠٠ سنة
١٠٠	٤٦ أعمال ملوك الأسرة ١٢ فى النيل
١٠٤	٥٢ زيادة النيل وتقصانه وأطواره فى عهد العرب (فى سنة ٧٦٩ م - ١٥٢ م إلى سنة ١٩١٤ م - ١٣٣٢ م)
١٠٩	
١١١	
١١٥	
١١٨	
١٢١	
١٢٤	

فهرست الرسوم الموجودة في هذا الكتاب

٢	رسم صاحب الجلالة ملكنا المعظم فؤاد الاول وحوله رسوم الفراعنة العظام
٤	رسم زينة مصرية قديمة بديعة الشكل
٨	رسم الاله حمي في محبته وفوق الصخور المرتفعة رسما الصقر والباشق رمز للوجهين البحرى والقبلى
١٨	خريطة قديمة للنيل
٢٩	رسم لنيلي الوجهين البحرى والقبلى
٣٠	» آخر لنيلي الوجهين البحرى والقبلى
٣٨	» المعبودة ازيس والاحل بالمتحف المصرى
٣٩	» » نفتيس » »
٤٣	» لنيل مدينة تيس والاصل بالمتحف المصرى
٦٥	تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليرى بباريز
٧٨	رسم بحر النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس
٧٩	رسم خريطة مصاب النيل الخمسة حسب رأى هيردوت المؤرخ اليونانى
٨٧	رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب وضع قاسم بك
٩٤	مركب شراعية مصرية قديمة والاصل بالمتحف المصرى
١١٠	رسم النيلين نيل الوجه البحرى ونيل الوجه القبلى وهما يحملان علامة الاتحاد وعليها اسم ملكنا المعظم فؤاد الأول باللغتين المصرية القديمة والعربية
١٢٢	رسم فتاح إله مدينة ممفيس والاصل بالمتحف المصرى
١٢٣	رسم العجلى أيبس والاصل بالمتحف المصرى

الطب المصري القديم
مصر في العصور القديمة
تاريخ الفن المصري القديم
تاريخ توت عنخ آمون
وتبعه تاريخ عالم الفراعنة
الأثر الجليل لقدماء وادي النيل
المواد والصناعات عند قدماء المصريين

العدد الثامن : محرم ١٩٧٥

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مذبول

6 Tulat Harb SQ, Tel. : 756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٧٥٦٤٢١

To: www.al-mostafa.com